خطوات إلى الحياة الطيبة

الخطوة الأولى: الصلاة

إن مما لاشك فيه أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ولا عهد عند الله لمن تهاون بها .

عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **" الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ"** (١) ، هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن من ترك الصلاة فقد كفر، ودعنا من الخلاف الحاصل بين العلماء، في أن من ترك الصلاه كفر كفرًا يخرج من الملة، وأنه إذا مات لايُغسَّل، ولا يُكَفَّن، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وأنه محرم الدعاء له بالمغفرة، وبين من قال من العلماء أن تارك الصلاة مسلم فاسق عاصٍ،فسقه كالزاني، والسارق، وشارب الخمر، وآكل الربا، وقاتل النفس بغيرالحق، دعنا من هذا الخلاف، وأهمس في أذن من يترك الصلاة عمدًا، أقول له هل ترضى أن يكون إنتماؤك للإسلام، محل خلاف بين العلماء؟! أترضى أن يكون إنتماؤك لأمة محمد ﷺ محل خلاف بين العلماء ؟! أتعجب ممن يترك الصلاة عمدًا، وهو يترفع عن السرقة، والزنا، وأكل الربا، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير حق، والمسكين لا يعلم أن ذنب تركه الصلاة عمدًا، يفوق ذنب كل هؤلاء مجتمعين !!.

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : **" بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ"** (٢).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: **"أَنْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا**

---

(١)رواه الأئمة الأربعة أحمد وأبو داوود والنسائي والترمذي .

(٢) رواه مسلم.

وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَلَا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ "(١) .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت ﷺ يقول: " خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ "(٢) .

تذكر حديث رسول الله ﷺ : " اغتنم خمسًا قبلَ خمس اغتنم حياتَكَ قبلَ موتِكَ وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ وشبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ وغِنَاكَ قبلَ فقرِكَ وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ" (٣).

وأذكر حديثًا لرسول الله أعتبره غنيمة للمؤمن و نقطة تفاؤل جميلة في حياة المسلم، ويبعث على الأمل، وفيه سلوة للمؤمن، يقول رسول الله ﷺ " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرِضَ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ اللَّهُ لَهُ مَاكَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا ".

ولسائل أن يسأل، وما علاقة الصلاة بالحياة سعادةً وبؤسًا ؟!! .

نجد من يقول سئمت الحياة، نقول الصلاة ؟!نعم الصلاة، فالحياة الطيبة الذي يحلم بها الشباب والشابات وسيلتها الأولى الصلاة !! .

نعم... كيف ؟!! **كيف تكون صلاتي هي سبب سعادتي ؟!!!** .

قال الله ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾(٤) .

(١) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٥٦٧) .
(٢) صحه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" .
(٣) صحه الألباني عن ابن عباس ، صحيح الجامع ١٠٧٧ .
(٤) سورة طه آية ١٢٣ :١٢٦ .

هذا هو علاج مشاكل كل واحد منا ... إن تطرق باب الطيب، الحبيب، الله، تطرق الباب خمس مرات يوميًا وأن ترتمي بين يديه ، وترفع إليه الحاجات والمسائل، وتبتهل إليه تعالى بالدعاء والتضرع .. ووالله الذي لا إله إلا غيره لن تحل مشاكلنا... ولن تكف همومنا... ولن تبدل أحوالنا إلا إذااستقمنا في صلواتنا... حالنا مع الصلوات يبكي العين، ويدمي القلب، ويقطع الجبين.

أنقسم المسلمون مع صلاتهم ثلاثة أقسام: قسم لا يصلي، لا يركع ولا يسجد.. لا باليل ولا بالنهار! أسماؤهم عبد الله وعبد الرحمن... كذبوا و الله. كذبوا و الله. لو كانوا عبيد الله ما خالفوا أوامر الله.

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1] . والله لن تستقيم حياة الإنسان إلا إذا استقام في صلاته.

والله إنك لن تتقرب إلى الله بقربه أعظم من المحافظة على الصلوات، نعم أكفلوا من العمل ما تطيقون، وأعملوا أن خير أعمالكم الصلاة ، فقد سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : "أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: الصَّلاَةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا" [2] .

وأعلم أنه لن ينفعك صوم، ولا حج، ولا زكاة، ولا أي نوع من الأعمال إلا إذا صلح أمر صلاتك..أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة صلاته إن أستقامت وصحَّت نظر الله في باقي الأعمال وإلا ... ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3] .

قسم لا يركع ولا يسجد وهم كثير كثير، امتلأت بهم البيوت،وأنتشروا في الطرقات، تراهم في المجمعات، وأوقات الصلوات يغدون ويروحون كأن الأمر لا يعنيهم، مساكين لم يسمعوا قول الله في الحديث القدسي الصحيح عن نعيم بن

(١)سورة المطففين آية ٤ -٦ .
(٢)صحيح الجامع (١٠٩٣) صححه الألباني .
(٣) سورة الفرقان ٢٣ .

عمار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقول الله عز وجل : « يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ »(١) ، وفي روايه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ »(٢).

مساكين لم يسمعوا قول رسول الله ﷺ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ »(٣) ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم...

قسم آخر: هم أيضًا كثير يقدمون ويؤخرون ينامون ويتناسون ويتكاسلون. يلعبون ويلهون إن استيقظ من نومه صلى، إن إنتهى من عمله صلى، إن إنتهى من لعبه وآكله وشربه صلى .

تناسوا أن الله قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٤).

تناسوا أن الله قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾(٥) .

تناسوا أن الله قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(٦).

قسم ثالث: وهم قله قليلة وأنا أعني ما أقوله قلة قليلة مقارنة بتعداد هذه الأمة أمة المليار أو يزيد ... تريد أن تشهد هذه القلة ؟! إشهدها في صلاة الفجر مع الجماعة. والله ترى عجب العجاب. ترى الألوف بل الملايين تغط في سبات عميق، وقلة قليلة هي التي أنتصرت على فراشها، وعلى شهواتها وأنطلقت تجيب منادي الله ...

(١) رواه أحمد و أبو داود (١٢٨٩) وصححه الألباني .
(٢) رواه الترمذي ١/ ٤٧ من باب ماجاء في صلاة الضحى ٤٧٥ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١/ ٤٧ .
(٣)أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠، رقم ٤٨٢)
(٤) سورة الماعون آية ٤-٥ .
(٥)سورة المنافقون ٩ .
(٦)سورة النساء ١٠٣ .

ثم انظر بعد صلاة الفجر بساعة، انظر إلى الناس قد ملؤا الطراقات، وانتشروا في مناكب الأرض يطلبون الدنيا، ما كأن الله قبلها بساعة ناداهم مناديه الصلاه خير من النوم... النوم خير عندهم من الصلاة.

إذا ضيعنا الصلاة كيف يتغير الواقع ؟!

لما نزل قول الله عز وجل في علاه على محمد ﷺ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[1] قال النَّبي الحبيب ﷺ باكيًا : " ياجبريل تضيع أمتي الصلاة !! يا جبريل تضيع أمتي الصلاة ؟! قال يا محمد ﷺ يأتي أقوام من أمتك يبيعون دينهم كله بعرض من الدنيا قليل " .

فضيعت الصلوات وارتكبت المحرمات. كيف يستقيم الحال ؟! كيف يتربى مجتمع على الفضيلة ومراعاة الحقوق وقد ضيعت حقوق الله ؟! .

أليست الصلاة هي التي تنهانا عن الفحشاء والمنكر ؟!.

يكفينا أمرٌ رباني واحدٌ حتى نعلم عظم قدر الصلاة ... ألم يكفنا أنها فرضت فوق سبع سماوات ؟!.

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[2] .

أمره بخمسين صلاة، فلا يزال يخفف عنا حتى جُعلت خمس صلوات بأجر خمسين. خمس صلوات بأجر خمسين!! الصلاة نور كيف أستطيع أن أمشي في الظلمات ؟! كثير يتخبطون .. يشكون الهموم والغموم، علاجهم صلاة على وقتها إن كانت إمرأة، صلاة مع جماعة المسلمين إن كان رجلًا .

هناك أصحاب شهادات لم يجدوا مرتبات وهناك من لا يعرف يقرأ ولا يكتب

(١) سورة مريم آية :٥٩ .
(٢) سورة النجم الأيات : ٧-١٠.

أنعم الله عليه وصب عليه من البركات !!هي ليست المؤهلات ... السر ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١].

جاء أحدهم إلى أحد الصالحين يشتكي إرتفاع الأسعار، وهكذا هو حالنا نتأثر بإرتفاع الأسعار يمنة ويسرة، ولا نتأثر بأحوال المسلمين، نخاف على ما يسد جوعنا، ويملأ بطوننا، ولا نخاف من تقرير مصيرنا إلى جنة أم إلى نار.

قال الصالح : والله لا أبالي لو أن حبه الشعير بدينار، عليّ أن أعبد الله كما أمرني وعليه أن يرزقني كما وعدني .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[٢].

فلابد أن نؤمن أن الرزق محدد كما أن الأجل محدد ونعلم أننا نسعى في الحياة الدنيا طاعة لله نجمع فيها زادًا نحتاجه في رحلتنا إلى الآخرة . ولذلك كان الرزق من الأربع التي قضى الله الأمر فيها وسجلها في اللوح المحفوظ، قدَّرها ربنا تبارك وتعالى على العبد قبل أن يولد من بطن أمه،ليعلم أنه إنما يسعى في هذه الدنيا طلبًا لرضا ربه لا جلبًا لرزقه، العبد يعمل لأن الله هو الذي أمره بالعمل ، فهذا الإمتثال عبادة ولذلك كان الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَ فَقْرَكَ** »[٣]، فتفرغ لعبادتي أي فرغ قلبك لذكري واعمل بجوارحك، إعمل متيقنًا أن عملك هذا إمتثال لأمري، إعمل وقلبك متعلق بي وعقلك متفكر فيَّ، وجوارحك منقادة لأمري، هذا معنى " **يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي** ".

(١)سورة طه آية ١٣٢ .
(٢) سورة الذاريات ٥٦-٥٨ .
(٣) رواه الترمذي ٢٤٧٧

أقم الصلاة كما يريد الله ∴ لن تبلغ الرضوان دون رضاه

إتبع رسول الهدى صل صلاته ∴ فالخير كل الخير في مسعاه

إصغي فؤادك واجتذبه ∴ قد ضل من سكن الفؤاد هواه

فإذا نطق الله أكبر أذكر ∴ الجنات والنيران وامصيراه

وأركع وعظم ربك الذي ∴ ما الكون في إتقان لولاه

وأسجد وعفر أنفك الغالي ∴ وقل بالدمع يالله يالله

أواه كم أمس وأصبح لاهيًا ∴ في غفلة وسذاجه أواه

رباه مالي غير عفوك ملجأ ∴ فأغفر لعبد تاب يارباه

وأما مقدار صلاة رسول الله ﷺ فهي من أجل المسائل وأهمها ، وحاجة الناس إلى معرفتها أعظم من حاجاتهم إلى الطعام والشراب، وقد ضيعها الناس من عهد أنس بن مالك رضي الله عنه ، ففي الحديث في صحيح البخاري من حديث الزهري رضي الله عنه قال " دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه بدمشق وهو يبكي، فقلت له ما يبكيك ؟! فقال لا أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت " يقول أنس رضي الله عنه أيضًا في رواية " ما أعرف شيئًا مما كان على عهد رسول الله ﷺ قيل فالصلاة ؟! ، قال أليس قد صنعتم فيها ما صنعتم ؟!.

أنس رضي الله عنه آخر من مات من الصحابة، سَنَة ثلاث وتسعين من الهجرة، يبلغ

من العمر مائة وثلاث ، وهو من أفقه الصحابة وعلمائهم تأخر حتى شاهد من إضاعة أركان الصلاة وأوقاتها وتسبيحاتها في الركوع والسجود، وإتمام التكبيرات الإنتقالية منها ما أنكره وأحزنه وأخبر أن هدي الرسول ﷺ كان بخلافه.

ففي صلاة الحبيب محمد ﷺ، نجد الطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة، ولا تستقيم الصلاة إلا بها قد ضيعها الكثير إلا من رحم الله! .

يقول أنس رضي الله عنه ما صليت خلف رجل أوجز صلاة من رسول الله ﷺ في تمام وكان عليه السلام إذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم (نسي) ثم يكبر ثم يسجد وكان يقعد بين السجدتين حتى نقول أنه أوهم (نسي).

" يوجز" أي لا يطيل كإمام بالنسبة لقيام الليل، فصفة صلاة ليله عليه السلام تقول عائشة لا تسألي عن حسنهن وطولهن، أي مهما وصفت من طول وحسن صلاته فلن أوفيها حقها...

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ قَالَ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا "(١) ، إسمع اسمع ماذا يقول من صلى خلف الحبيب ﷺ، **فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُسْتَرْسِلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ**"(٢)،فلا تكن أيها المسلم شحيحًا في زيادة التسبيحات في ركوعك وسجودك ، فإنك والله الذي لا إله غيره، لو عبدت الله ليل نهار، ما أديت شكر نعمة واحدة فكيف بالنعم التي لاتعد ولا تحصى !!، عن عائشة رضي الله عنها قالت" يسجد تعني الرسول ﷺ السجدة قدر ما يقرأ

(١)رواه أحمد في صحيحه .
(٢)رواه مسلم .

خمسين (٥٠) آيه وكذلك الركوع "[١].

كان عليه الصلاة والسلام يكثر الأدعية في صلاته، فهي وسيلة للخشوع في الصلاة، في الركوع يذكر سبحان ربي العظيم ما شاء الله أن يذكر، ثم يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللّهم أغفرلي، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ويقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت، خشع لك سمعي وبصري وشعري وفمي وعصبي وعظمي ولحمي ودمي وما أستقل به قدمي، يرفع في الركوع يعتدل قائمًا يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد حمدًا طيبًا طاهرًا مباركًا، فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس، وكان ﷺ يزيد على هذا الدعاء ويبدل إلا أنه لم يخل قيامه أو ركوعه أو سجوده من دعاء .

وفي السجود يقول سبحان ربي الأعلى ما شاء الله أن يقول، ثم يقول سبحانك اللّهم وبحمدك اللهم اغفر لي .. اللهم لك سجدت وبك أمنت ولك أسلمت وعليك توكلت .. سجد وجهي لله الذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم زدني بهذه السجدة عندك أجرًا وضع عني بها وزرًا، وأجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود.. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك .. اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاوك، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور وجهي، وجلاء همي، وما أروع أن تلزم نفسك بالدعاء لوالديك في كل سجودك ، إعترافًا بجميلهما فتقول اللهم اغفر لأبي وأمي،

(١) رواه البخاري .

اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرًا ، وكَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي " .

وكان عليه الصلاة والسلام بعد التشهد وقبل التسليم يقول (اللَّهُمَّ قِنِيْ عَذَابَ النَّار، وَعَذَابُ الْقَبْر، وَقِنِيْ فِتْنَةُ الْمَحْيَا وَالْمَمَات وَفِتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال.. اللَّهُمَّ آتِنِي فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَة حُسْنَهُ وَقِنَا عَذَابَ النَّار.. اللَّهُمَّ أَعِنِّيْ عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِيَ طَرْفَةُ عَيْنٌ.. اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجُلَّهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ عَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ .. اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّيْ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرِ لَا إِلَهَ الإِ أَنْتَ) [1] .. ينقص ويزيد.

فهذه مواطن الأدعية في الصلاة واولها بعد تكبيرة الإحرام وهو الإستفتاح "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ "....

هذه الأدعية من أهم وسائل الخشوع والقنوت في الصلاة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

والله الله في تدبر الفاتحة في الصلاة، ففيها مما يضيء جوانب القلب، فأنت تبدأ ذاكرًا تاليًا ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ الموصوف بالرحمة ، تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فإذا استشعرت هذا المعنى ووقر في نفسك إنطلق لسانك بحمد هذا الإله على عظيم نعمه وكريم فضله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وعندما تتفكر أن هذه النعم الجليلة ليست عن رغبة فيك ولا رهبة منك، ولكنها عن تفضل ورحمه، فينطلق لسانك مرة ثانية ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ، ومن كمال هذا الإله العظيم أن يقرن الرحمة بالعدل، ويذكر بالحساب بعد الفضل، فهو في رحمته المتجددة السابغة سيدين عباده، ويحاسب خلقه يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ

(١) صحيح البخاري ١٣٩٨ .

نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾،[1] فتربيته لخلقه قائمة على الترغيب في الرحمة، والترهيب بالعدالة والحساب فجاء قول ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [2].

وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح العبد مكلفا بتحري الخير، والبحث عن وسائل النجاة، وأنت في هذا أشد ما تكون حاجة إلى من يهديك إلى سواء السبيل، ويرشدك إلى الصراط المستقيم وليس أولى بك في ذلك من خالقك ومولاك، فلتلجاء اليه،ولتعتمد عليه، ولتخاطبه بقولك ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ تسأله الهدايه من فضله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق وإتباعه، غير المغضوب عليهم بالسلب بعد العطاء، وبالنكوص بعد الإهتداء، وغير الضالين التائهين، الذين يضلون عن الحق أو يريدون الوصول اليه فلا يوفقون، واستشعر وأنت تهيم في هذا الجمال، وفي هذه البراعه التي حوتها سورة الفاتحة، مايرويه الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ عَبْدِيَ نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حَمِدَنِي عَبْدِيَ، وَإِذَا قَالَ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِيَ، وَإِذَا قَالَ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ قَالَ مَجَّدَنِي عَبْدِيَ وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِيَ، فَإِذَا قَالَ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ قَالَ هَذَا بَيْنِيْ وَبَيْنَ عَبْدِيَ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَاذَا قَالَ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " وَفِي رِوَايَةٍ (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ عَبْدِيَ نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)..**

وأدم هذا التدبر، واجتهد في أن تقرأ على مكث، وتمهُّل وخشوع وتذلل، وأن تقف على رؤوس الآي، فإن ذلك يعين على الفهم، و يثير ما غاص من

(١) سورة النجم ١٩ .
(٢) سورة الفاتحة آية ١ .

شآبيب الدمع، وما أنفع للقلب من خشوع في صلاة .

دخل عصام بن يوسف على حاتم في مجلسه، فقال له حاتم تحسن تصلي؟ قال نعم، قال كيف تصلي؟ قال حاتم الأصم أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت ... قال تكلم فأنت تحسن تصلي....

فوالله الذي لا إله إلا هو، لو أن الناس أهتموا بالصلاة كما كان حبيبنا المصطفى وسلفنا الصالح يهتمون بها، لما تورطوا في المنكرات، ولا تعاطوا المحرمات، فيارعاك الله عليك أن تحسن الوقوف بين يدي الله في الصلاة ، فالصلاة أن أحسنتها هي أقرب طريق تصل إلى الله بعد إفراده بالعبودية، كما قال تعالى ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (١) .

يقول ابن القيم --رحمه الله-- : الصلاة لو أحسنتها هي قرة عيون المحبين الموحدين في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة من لاتقر العيون إلا به، ولا تطمئن ولا تسكن النفس إلى إليه، والتتنعم بذكره والوقوف بين يديه، والتلذذ بالخضوع له، والقرب منه ولا سيما في السجود. فهذه الحالة أقرب ما يكون العبد إلى ربه.. فلا شيئ أقر لعين المحب، وألذ لقلبه، ولا أنعم لعيشه، من الصلاة إذا كان محبًا.

فهذا المحب إن أنصرف منها وجد خفة من نفسه لأنها قد وضعت عنه فوجد نشاطًا وراحة حتى يتمنى أنه لم يخرج منها، فهي قرة عينه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كان في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح، كما قال ﷺ :

(١) سورة العلق ١٩ .

ولم يدع من حسنه شيء إلا فعله.

وحال القلب في الصلاة على خمس مراتب واجتهد لتصل:

* مرتبة الظالم لنفسه الفرط وهو الذي انتقص من مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة والباطنة.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة فقط ولكن ضيع مجاهدة نفسه في دفع الوسوسة وحصول الخشوع.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها ويجاهد نفسه في دفع الوساوس فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

* محافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها واستغرق قلبه في مراعاة حقوقها لئلا يضيع منها شيء فهمه كله معروف فهو مشغول بإكمالها على أكمل وجه.

* من قام كذلك ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ناظرًا بقلبه إليه ممتلأ حبًا وإجلالًا وتعظيمًا له كأنه يراه ، وقد أضمحلت تلك المجاهدة والوساوس والخطرات فهذا في صلاته مشغول بربه (مقرب) فرحًا به ، تقر عينه به نسأل الله من فضله .

المشهد الثالث : المتابعة والإقتداء:

أن تحرص كل الحرص الإقتداء في صلاتك بالنَّبي محمد ﷺ، فتصلي كما كان يصلي، وتعرض عما أحدث الناس في الصلاة من السرقة والنقصان والأوضاع التي لم تنقل عن الرسول ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أقسم الله بنفسه الكريمة أنَّا لا نؤمن، حتى نحكم الرسول ﷺ فيما شجر بيننا، وننقاد لحكمه ، ونسلم تسليمًا ، فلا يجوز تحكيم غيره من البدع التي نراها يقول ربنا تبارك

وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

واعلم أن العمل بغير إخلاص ولا إقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه ... وقال ربنا تبارك وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2].

المشهد الرابع : الإحسان:

عود نفسك المراقبة، اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

كيف السبيل إلى ذلك؟! .

هذا ينشأ من كمال الإيمان بالله، وأسمائه وصفاته، حتى كأنك ترى الله فوق سماواته، مستويًا على عرشه، تتكلم بأمره وتنتهي بنهيه، فأنت تتعامل مع قيومًا حيًا سميعًا بصيرًا حكيمًا، آمرًا ناهيًا، يحب ويغضب، لا يخفى عليه شيء من أعمالك، ولا أقوالك ولا بواطنك، بل يعلم خائنة عينك وما يخفى صدرك، يقول تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[3].

وأعلم أن فائدة الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، وهو الذي يوجب الإجلال والتعظيم والخشيه والمحبة والتوكل والإنابه والخضوع لله والذل له. وهو الذي يقطع الوساوس وحديث النفس، وهو الذي يجمع القلب على الله.

اعلم أن حظك من القرب لله على قدر حظك من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة ... حتى يكون بين صلاة الرجلين في الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامها وركوعها وسجودها واحد، فذاك حاضر القلب بين يدى ربه،

(١)سورة النساء آية ٦٥ .
(٢)سورة الاحزاب آية ٢١.
(٣)سورة تبارك آية ١٤ .

وذاك معرض. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾[1].

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا" اللهم سلم سلم، هذا الحديث صحيحة الألباني.

المشهد الخامس: المنّه:

بأن تشهد بأن المنة لله سبحانه في كونه أقامك في هذا المقام، وأهّلك، ووفقك لقيام قلبك وبدنك في خدمته، فلولا الله ما كان شيء من ذلك.

قال تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧ ﴾[2]، فالله هو الذي جعل المسلم مسلمًا والمصلي مصليًا قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[3]، وقال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾[4] واعلم أن هذا من أعظم المشاهد وأنفعها لك[5].

وكلما كنت أعظم توحيدًا كان حظك من هذا المشهد أتم . . . وفيه فوائد:

أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل، فإنك إذا شهدت أن الله هو المنّان الهادي شغلك ذلك عن رؤية نفسك والإعجاب بعملك، فيرفع من قلبك، فلا تعجب به، ومن لسانك فلا تمن به ولا تستكثر به وهذا شأن العمل المرفوع.

وفيه من الفوائد أيضًا أنك تضيف الحمد على وليّك فلا تشهد لنفسك حمدًا بل

(١) سورة الماعون آية ٤-٥.
(٢) سورة الحجرات آية ١٧.
(٣) سورة االنحل :٥٣.
(٤) سورة الحجرات آية ٧.
(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع ٩٥٢.

تشهده كله لله ، كما تشهد النعم كلها منه ، والفضل كله له ، والخير كله بيديه ، وهذا من كمال التوحيد ....

المشهد السادس : رؤية التقصير:

أن تعلم أنك لو إجتهدت في القيام بالأمر غاية الإجتهاد، وبذلت وسعك، فأنت مقصر وأن حق الله تعالى عليك أعظم، والذي ينبغي أن تقابله به من الطاعة والعبودية فوق ذلك بكثير، وأن عظمته وجلاله تقتضي من العبودية ما يليق بهما، إذا كان خدم الملوك يعاملونهم في خدمتهم بالإجلال لهم والتعظيم والتوقير والمهابة بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم ، فخالق السموات والأرض أولى أن يعامل بأضعاف ذلك.

إذا ايقنت من نفسك أنك لم تعرف لربك في عبوديته حقه ولا قريبًا من حقه واعترفت بتقصيرك وعدم القيام بما ينبغي. فأنت إلى أن يغفر لك العبودية الناقصة أحوج منه إلى أن تطلب منه عليها ثواب... ولو وفيتها فهي مستحقة عليك بمقتضى العبودية، قال الرسول ﷺ : " **لَنْ يُنَجِّي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَمَلُهُ، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ** " ، ولكن كما قال ﷺ " **اسْتَقِيمُوْا وَلَنْ تُحْصُوْا وَاعْمَلُوْا إِنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوْءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ** " (١).

إذا علمت ذلك علمت السر في كون أعمال الطاعات تختم بالإستغفار.

عن ثوبان قال " كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام " (٢) .

وقال تعالى ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) من حديث ثوبان ، صحيح الجامع للألباني ٩٥٢ .
(٢) صحيح مسلم .
(٣)سورة الذاريات آية ١٧، ١٨ .

كان ابن عقبة رضي الله عنه يسجد حتى تقع العصافير على ظهره.

أبو بكر ابن عباس رضي الله عنهما يقول رأيت صهيب بن أبي ثابت رضي الله عنه ساجدًا فلو رأيته قلت ميت من طول السجود.

عن ذهب رضي الله عنه يقول رأيت الثوري بن الجرم رضي الله عنه بعد صلاة المغرب يصلي ثم سجد سجده فلم يرفع منها حتى نوديَ للعشاء.

ميمون بن حبان رضي الله عنه يقول ما رأيت مسلم بن يسار رضي الله عنه ملتفًا في صلاته قط خفيفة أو طويلة. ولقد أنهدمت ناحية المسجد في صلاته فما التفت، لله دره أنه ملتفت لله وحده.

صلى أبو عبد الناجي رضي الله عنه يومًا بأهل طرطوس فصيح بالنفير فلم يخفف الصلاة فلما فرغوا قالوا أنت جاسوس ؟! قال : لِمَ ؟! قالوا صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف قال ما حسبت أن أحدًا يكونَ في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه به الله !!.

كيف السبيل إلى صلاتهم؟ :

حاتم الأصم رضي الله عنه سئل عن صلاته فقال:- إن حانت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن يساري، وملك الموت ورائي، وأظنها أو قال يقع في قلبي أنها أخر صلاتي، أنظر إلى عرش ربي وكأني أراه جالسًا يراني وينظر إليّ ويسمعني ويراقبني ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرًا بتحقيق، وأقراء قراءه بترتيل، وأركع ركوع بتواضع، واسجد سجود بتخشع، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري قبلت مني أم لا ؟!.

تدري ماذا يعني بأركع ركوع بتواضع وأسجد سجود بتخشُّع؟! .

لأنه يعلم معنى الركوع ويحققه ، ومعنى السجود فيتفاني فيه.

هل للركوع معني؟! نعم الركوع هو إنحناء تعظيماً لله عز وجل ، فالإنحناء تعظيم بالفعل وقولك سبحان رب العظيم تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمتان بالإضافة إلى التعظيم الثالث وهو تعظيم القلب لله فيجتمع في الركوع ثلاثة. تعظيم القلب. تعظيم الجوارح. تعظيم اللسان، وكذا السجود، ففي الركوع قال سبحان رب العظيم لأن الهيئة هيئة الإنحناء هيئة تعظيم لله. أما في السجود نقول سبحان رب الأعلى لأن الهيئة هيئة نزول.

أي أنزه ربي الأعلى فوق كل شيء كل سفل ونزول، أما أنا فمنزل رأسي وأشرف ما في إلى موضع قدمي.. لابد أنهم استشعروا كل هذا في ركوعهم وسجودهم فصاروا أعلام نبلاء.. ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (١) ومع ذلك قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون.

وإذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل : لا أصلي غيرها.

يقول أحد السلف ما صليت صلاة رغم المحافظة على خشوعها إلا استغفرت الله بعدها من تقصيري فيها...

فلله قوم أمتثلوا ما أمروا ∴ وزجروا عن الذلل فانزجروا جن الليل عليهم فسهروا ∴ وطالعوا صحف الذنوب فانكسروا وطرقوا باب المحبوب فاعتذروا فقال ∴ الله عنهم وإني جزيتهم اليوم بما صبروا

يقول الله عنهم ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (٢) .

(١)سورة المؤمنون آية ٦١ .
(٢)سورة المؤمنون آية ١١١ .

عن هشام أن حفصة بنت سيرين كانت تدخل في مسجدها، فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع للضحي، ثم تخرج فيكون ذلك وضوئها ونومها حتى الظهر فتعود لمسجدها. يقول عنها مهدي بن ميمون أنها مكثت في مسجدها هذا ثلاثين سَنة لا تخرج إلا لحاجة.

يقول هشام بن حسان:كان الهذيل بن حفصه يجمع الحطب في الصيف فيقشره فإذا جاء الشتاء جاء بالكانون، تقول حفصه فيضعه خلفي وأنا في صلاتي ومصلاي، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وقودًا لا يؤذي دخانه ويدفئني،وإذا أردت أن أقول يا بني أرجع إلى أهلك ، فأذكر ما يريد من بري، فأدعه .قالت حفصه: فلما مات رزقني الله من الصبر ما شاء أن يرزقني،غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت فبينما ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذا أتيت على هذه الآية ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1]، قالت فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد فأين نحن منها ؟!، تعالج ألمها وحزنها بالقرآن ، لله درها !، فقهت الآيه وأيقنتها وأبصرها قلبها هذه هي حياة القلب بالهدى والإيمان ، واليقين هذه هي الحياة الطيبة .

السؤال: لماذا لا نشعر بلذة الصلاة والعبادة كما يشعر هؤلاء ؟!

من الناحية العضوية هي هي... القرآن هو هو... والسُنَّة هي هي.. المشكلة في جهاز الإستقبال عندنا ، لا نبالي ولا نطبق ولا يهمُّنا أن نصل إلى ما تمناه الصحابة من الفردوس الأعلى ! .

نعم وجود الرسول بين أظهرهم كان يشجعهم، لكننا إذا تمسكنا بسُنَّته لنا مكانة عظيمة ، والدليل قوله ﷺ : " **لَيْتَنِيْ أَرَى إِخْوَانِيَ يَقُوْلُ لِأَصْحَابِهِ، قَالُوْا : وَنَحْنُ؟** ،

(١) سورة النحل آية ٩٥-٩٦ .

قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِيَ وَهُمْ أُخْوَانِيَ، يُؤْمِنُوْنَ بِيَ وَلَمْ يَرَوْنِيَ. يَقُوْلُ عَلَيْهِ الْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ: وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي فِيْ زَمَنِ الْفَسَادَ كَانَ لَهُ أَجْرٌ خَمْسِيْنَ، قَالُوْا مِنْهُمْ أَمْ مِنَّا ؟ قَالَ : بَلْ مِنْكُمْ "[1] . فعلى قدر المستطاع التمسك بسنته ﷺ .

نعود لنجيب على التسائل لماذا لا نشعر بلذة الصلاة كما يشعرون ؟! .

الأمر الأول: ضعف الإخلاص والمراقبة :

فلما قلت المراقبة لله عز وجل فسدت الأعمال، وكثرت آفاتها من الرياء والسمعة والعجب وحب المدح والثناء ، فوقعنا في الشرك الخفي، ففقدنا لذة العبادة. نعم حذرنا النَّبي ﷺ من الشرك الخفي قال: " هُوَ أَخْفَىَ مِنْ دَبِيْبِ الْنَّمْلَةِ الْسَّوْدَاءِ عَلَى الْصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِيْ الْلَّيْلَةِ الْظَّلْمَاءِ" [2]. واعلم أنه من رجى غير الله وأحب مدح الناس فسد قلبه ومن باب أولى فسد عمله.

الأمر الثاني: المعاصي:

المعصية : شئم عظيم، وبلاء خطير، وهي العدو اللدود للذة العبادة وحلاوة الطاعات والصلوات. وهي مرض القلب الخطير الذي إذا تراكمت عليه أماتته. يقول أحد الصالحين حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. فكيف من حياته كلها معاصي بل كبائر أنّى يشعر بلذة العبادة؟!، فليتك لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن تنظر إلى عظمة من عصيت، وليتك تعلم أن الإصرار على الصغيرة كبيرة ، والتوبة من الكبيرة صغيرة.

الأمر الثالث: التوسع في المباحات:

تلك التي تخرب على العبد آخرته فضول النظر والإستماع والكلام والمخالطة

(١)صححه الالباني ٧١٠٨ .
(٢) رواه مسلم من حديث هريرة .

والنوم والأكل، كلما توسعت في ذلك كله قصرت في العبادة أورثت الكسل والخمول حتى تفقد اللذة في الصلاة والقرآن والطاعة. وذلك لثقلها على النفس المتوسعة في أمور الدنيا. واعلم أن النفس الأمارة بالسوء كلما وسعت عليها ضاق الصدر وفقد القلب حلاوة الطاعة وكلما ضيقت على النفس كلما اتسع الصدر وشعر القلب بحلاوة الصلاة والقرآن والطاعة.

الأمر الرابع: الزهد في الثواب

فبدلًا من أن نزهد في الدنيا، زهدنا في الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعندما يزهد العبد في الآخرة وأجرها وثوابها العظيم على الطاعات فإنه بهذا الزهد يفقد تدريجيًا لذة الصلاة والطاعات، ويستلذ بالراحة، فلا يخسر على فوات تكبيرة إحرام أو حتى فوات ركعة بل قد تفوت الصلاة كلها ولا يحزن، لاتجد تحسُّر على فوات قيام ليل، ولا صيام نهار، ولا غيرها من الطاعات التي يجد فيها الآخرين ممن تقربوا إلى الله لذة، فمن هنا نفقد المسارعة في الخيرات.

الأمر الخامس: عدم إدراك أن النفس في حاجة إلى جهاد

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]. قال ﴿ جَٰهَدُوا۟ ﴾ ولم يقل (عملوا). فالنفس تحتاج منا إلى مجاهدة، فهي أمارة، بالسوء تعشق الكسل والخمول، وهي كالدابة أن عرفت منك الجد جدت وركِبْتَ، وعبرتَ بها إلى الجنة، وإن عرفت منك الكسل، طَمِعَتْ فيك حتى تقودك إلى السوء والمنكرات، وجعلتك مطية لها إلى النار.

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩.

كيف تورث الصلاة الخاشعة التي هي قرة عين المحبين حياة طيبة؟! الصلاة التي تقر بها العيون تورث محبة الله بثمراتها الطيبة في حياة المسلم:

أولًا : الشوق إلى لقاء الله. ثانيًا : النعيم والسرور.

ثالثًا : التسلي عند المصائب. رابعًا : إنشراح الصدر.

من ثمرات محبة لله :

أولا : الشوق إلى لقاءه :

إعلم أنه من أرفع درجات النعيم، وغاية الأماني لكل قلب مسلم هو الشوق، ولاينبتَ الشوق إلى لقاء الله في القلب إلا بتلك الصلاة التي تقر بها العيون...ومن مُنحَ الشوق فقد انقطعت عنه حاجات الدنيا والآخرة...

وأولى الناس بالله وبرحمته هم أشدهم شوقًا...

فإن الحامل على الشوق المحبة، ولهذا يقال لمحبتي إليه اشتقت إليه فالمحبة بذور في القلب والشوق بعض ثمرات تلك البذور فمنزلة الشوق من المحبة بمنزلة الهروب من المكروه.

إذا كرهت فررت ممن تبغض. كذلك العبد إذا أحب الله عز وجل هرول إليه في صلاته، وأقبل عليه إقبال الملهوف المشتاق... إذا أحببت فررت إلى من تحب ... وقوة المحبة لله توجب ألا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته، وقلت شواغله، اجتمعت عليه شئون قلبه، وقوي سيره إلى محبوبة، ومن هنا ينشأ قيام اليل... أنا أقول أنا أحب الله وأحاول وأسعى لتحقيق هذا المعنى في كل شيء ومثالها الصلاة....

عن عطاء عن أبيه يقول صلى عمار بن ياسر صلاة أوجز فيها، فقال بعض القوم خففت الصلاة (أي اتهموه في حبه لله) قال أما على ذلك فقد دعوت

فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم، فسأله عن الدعاء فأخبر به القوم " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الحق، أن تحييني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتتوفني إذا علمت الموت خيرًا لي، اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغني، وأسألك نعيمًا لا يبدد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر في وجهك، وأسألك الشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة، ولافتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان وإجعلنا هداة مهديين " .

انظر إلى فن الدعاء، أن يكون جامع شامل غير مخل. فلما كانت خشية الله وراء كل خير في المشهد والمغيب، سأل الله الخشية في الغيب والشهادة. لما كان أكثر الناس يتكلم بالحق في الرضا فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضًا رضاه في الباطل، سأل الله عز وجل أن يوقفه لكلمة الحق في الغضب والرضا لذلك قال بعض السلف : " لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب أخرجه غضبه عن الحق " .

ولما كان الفقر والغنى بليتين ومنحتين يبتلى بها العبد، ففي الغنى يبسط ، وفي الفقر يقبض، سأل الله القصد في الحالتين، وهو التوسط بين الإسراف والتقطير، ولما كان النعيم نوعين: نوع للبدن ونوع للقلب وإن كمال ذلك النعيم بداومه جمع بينها بقوله أسألك نعيم لا يبدد وقرة عين لا تنقطع.. ولما كان الرضى المقصود والمحمود هو الذي يكون بعد القضاء لا قبله، فإذا وقع القضاء رضى بعده. فإن المقدور يكتنفه أمران: الإستخارة قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه. فالله عز وجل شرع الإستخارة في جميع الأمور، كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةِ فِيْ الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّوْرَةَ مِنْ الْقُرْآنِ " إِذَا هُمْ

أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ اسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَاسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ... اللَّهُمَّ أَنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ (وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ) خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلَةِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ" (١).

فمن سعادة العبد أن يجمع بين الإستخارة قبل المقدور والرضى بعده، ولما كان العيش في هذه الدار لايبرد لأحد كائنًا من كان بل هو محشو بالغصص والنكد والآلام الظاهرة والباطنة، سأل برد العيش بعد الموت...

والشاهد من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يهبه شوقًا إلى لقاءه مصاحبًا للعافية والهداية فلا تكون مصاحبة بمرض أو فتنة. فإن كثير ممن يحصل لهذا الشوق إلى لقاء الله لا يناله إلا بعد إمتحان هل يصلح له أم لا ؟ وإن لم يمتحن فإنه يكون غير مؤهل أو بعد تعرضه لفتنة ، واعلم أنه إذا عزم العبد السفر إلى الله تعالى عرضت له الخوادع والقواطع، فيخدع أولاً بالشهوات والرئاسات والملاذ والمناكح والملابس، فإن وقف معها انقطع، وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ابتلى بكثرة الأتباع، وبالسير خلفه، والتوسع له في المجلس، ورجاء بركته، ونحو ذلك فإن وقف معه إنقطع به عن الله وكان حظه من منه، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلى بالكرامات والكشوفات، فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه ، وإن لم يقف ابتلى بالتجريد والتخلي وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا، فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه، وسار ناظرا إلى مراد الله منه، بحيث يكون عبده

(١) رواه البخاري ، باب الدعاء عند الاستخارة ، ٦٠١٩ .

الموقوف على محابه، اين كانت وكيف كانت، تعب بها أو استراح ، تنعم أو تالم، أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم، لايختار لنفسه غير مايختاره له وليه وسيده، واقف على أمره، ينفذه حسب الإمكان، فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شئ البته.

إذا أعجبتك خصال امرئ ∴ فكنها تكن مثل ما أعجبك
فليس على الجود المكرمات ∴ إذا جئتها حاجب يحجبك

وما فائدة الشوق؟ الشوق إلى لقاء الله يحمل المشتاق على الجد في السير إلى الله، ويقرب عليه الطريق ويهُون عليه الآلام والمشاق التي يتحملها في سبيل التمسك بدينه، فتطيب معه الحياة، ومن أنكر شوق العبد إلى ربه فقد أنكر محبته له لأن المحبة تستلزم الشوق. فالمحب دائما يشتاق إلى لقاء ربه ومحبوبه، لا يهدأ قلبه ولا يقر قرارة إلا بالوصول إليه وهذا يظهر في أربعة مواطن:

أولها: عند أخذه مضجعه وتفريغ حواسه وجوارحه من الشواغل فإنه لا ينام إلا إذا ذكر من يحبه، وشغل قلبه به فعندما يجن الليل يخلو كل حبيب بحبيبه.

ثانيها: عند إنتهائه من النوم فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

ثالثها: عند الصلاة، فإذا كان العبد محبًا لله فلا شئ أقر إلى عينه، ولا ألذ إلى قلبه ولا أهنا وأطيب عيشًا من الصلاة، فالصلاة هي الميزان الذي يوزن به مقدار حبك لله، كما يقول ﷺ أرحنًا بها يابلال، فسبحان من فاضل بين النفوس، وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم، قلب إذا صلى يستريح بها وقلب يريد أن يستريح منها..

رابعها: عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبة الأعظم عنده، ما السر في ذلك؟!

يقول ابن القيم -رحمه الله-: أن العبد عند المصائب والشدائد يشتد خوف القلب من مفارقة أحب الأشياء إليه ، وهي حياته التي لم يكن ليحبها إلا أنها يتقرب بها من محبوبه وهو الله. فإذا خاف فواتها بادر قلبه إلى ذكر محبوبه الذي سيفوت بفوات حياته، ولهذا كثيرًا ما يعرض للعبد عند موته لهجة بما يحبه وكثرة ذكره له، ربما خرجت روحه وهو يلهج به. فمن الناس عند موته يقول أموالي أموالي، ومنهم من هو تاجر يقول هذه بضاعة جيدة وهذه ممتازة، ومنهم من يردد اسم محبوبته ، ومنهم من يردد مقطع من أغنيه ، نسأل الله السلامة و العفو والعافية..

ومن كان مشغولًا بالله ، وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما يكون إليه عند خروج روحه، ويقدم على الله قدوم العبد المشتاق لموالاه الذي طالما تحمل مشاق قيام الليل وصيام النهار، طمعًا في لقاءه والفوز برضاه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور. ومن كان مشغولًا بغيره معه عند موته، فإن ذلك يفسد عليه إشتغاله بالله وحضوره معه عند موته، لذلك كان جدير بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتته شقي شقاوة الأبد .

ومن ثمرات محبة الله :

ثانيا : النعيم والسرور :

إن نعيم المحبة في الدنيا لطيفة من نعيم الجنة في الآخرة. فمحبة الله من ثمراتها النعيم الذي هو جنة المؤمن في الدنيا والمحب لله لا يفارقه السرور. ويجد في قلبه حلاوة ولذة لكونة مع الله وإن الله معه. ولا يقدر هذا الكلام إلا من ذاق محبة الله أما أهل الغفلة فلا !!.

يقول بعض من ذاقوا محبة الله : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من طيب

العيش، لجالدونا عليه بالسيوف.

* وقال آخر: والله أنه لتمر بالقلب أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا أنهم لفي عيش طيب.

* ويقول : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما عرفوا وماذاقوا أطيب ما فيها، قيل وما أطيب ما فيها ؟ قال محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه.

* يقول الرسول ﷺ : «ذَاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًا ، وَبِالإِسْلَامِ دِيْنًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلا »(١).

* وقال ﷺ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهَا. وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ. وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ "(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله- " إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه فإن الرب شكور " يعني لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه و إنشراحًا وقوة فمن لم يجد ذلك فعمله مخزول .

والنعيم والسرور يكون على قدر المحبة، والمحبة تكون على قدر التعرف على الله بأسمائه وصفاته... فمن كان بالله أعرف كان الله أحب وإليه أقرب وفيه أرغب وبه أسعد.

ووالله لو عرف المشغولون بغير الله ما فيه أهل محبته وذكره من طيب الحياة، ونعميها لتقطعت قلوبهم حسرة ولعلموا أن ما حصلوه من تكالبهم على الدنيا لا قيمة له بالنسبة لما ضيعوه وحرموه ...

---

(١) صحيح الألباني في صحيح الجامع ٣٤٥٢ .
(٢) رواه البخاري ..

من ثمرات محبة الله:

ثالثا: أنها تسلي المحب وتنسيه المصائب:

فإذا سلم له محبوبه "الله" لم يجزع فإنه يرى من محبوبه عوضًا عن كل شيء ولا يرى في غيره عوضًا عنه، فكل مصيبة عنده هينة إذا أبقت عليه محبوبه، لذلك كان لابد من التعلق بالله دون أي شيء آخر لأن الله باقي عظيم، وكل ما سواه فإنه معرض للبلاء والنقصان، ولو لم يكن في المحبة إلا هذه الفائدة وحدها لكفي بها شرفًا، وكفى بها ثمرة للحياة الطيبة. فإن المصائب لازمة للعبد، ولا يمكن دفعها مثل مصيبة الموت، وضياع المال، والمرض، وعقوق الوالدين، ومصائب يوم القيامة، ودخول النار، كل ذلك لا يدفعه إلا محبة الله وحده، ومتابعة رسوله ﷺ. فالمحبة أصل كل خير في الدنيا وفي الآخرة.

من ثمرات المحبة لله:

رابعًا: إنشراح الصدر وعدم الإكتئاب:

وكلما كانت المحبة أقوى كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلى إلا عند رؤية الغافلين، قال تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (١) فأي فائدة للصلاة الخاشعة وأي ثمرة لها أعظم من المحبة المؤدية إلى راحة البال وإنشراح الصدر، وأي عذاب أمر من ضيق الصدر، فالمحب من أطيب الناس عيشًا وهذه جنة عاجلة قبل جنة الآخرة...

ومن ثمرات الصلاة الخاشعة التي هي قرة عين المحب غير محبة الله تعالى أنها مطردة للداء من الجسد فكم عرفنا من المرضى التي فشلت العقاقير الطبية عن علاجهم فلما لجؤا إلى الله في صلاته برئوا بفضل الله...

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥.

ومن أراد الحياة الطيبة ولذة الصلاة في العبادة فعليه بإصلاح النية والإخلاص لله في السر والعلن وإرضاءه ولو سخط الناس أجمعين .

عندما بحثنا في كيف أجعل صلاتي قرة عيني ، كان المطلب الأول الإخلاص وعندما بحثنا في لماذا لا أشعر بلذة الصلاة والعبادة كما كانوا يشعرون ، كانت الإجابة والعائق ضعف المراقبة وضعف الإخلاص ، لذلك لابد أن نولي للإخلاص اهتمامًا في هذا الكتاب .

حقيقة الإخلاص :

كيف أحقق الإخلاص؟!

لكي تحقق الاخلاص عليك أن تعلم أولًا حقيقة الإخلاص ومنزلته وثمراته وعلاماته :

إختلف العلماء في عبارات الإخلاص والمراد به شرعًا.

قيل هو قصد المعبود وحدة بالعبادة.

قيل هو تخليص القلب من كل ما يشوب ويكدر صفاءه.

قيل هو التوقي من ملاحظة الخلق.

قيل هو مالا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله.

قيل أن يكون الداعي إلى الإتيان بالمأمور وإلى ترك المنهي هو إرضاء الله تعالى، والرغبة فيه سبحانه.

والعبارات متقاربة ومدارها على أن يريد العبد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون أي شئ آخر من تصنع لمخلوق أو إنتظار محمده مخلوق أو أي حظ من الحظوظ.

ولقصدُ الله تعالى وحده بالعمل وإخلاصه له . له صور عدة :

* فمنهم من يعبد الله تعظيمًا وتوقيرًا.

* ومنهم من يقصد الدخول في عبادته وطاعته.

* ومنهم من يقصد رضوانه ورضاه.ومنهم من يقصد الأنس به والتلذذ بطاعته وعبادته.

* ومنهم من يقصد التنعم برؤيته يوم يلقاه.

* ومنهم من يقصد ثوابه دون أن يستشعر ثواب معين.

* ومنهم من يطلب ثوابًا معينًا.

* ومنهم من يخاف عقابه دون أن يستشعر عقاب معين.

* ومنهم من يخاف عقاب معين.

وتنوع المقاصد بابًا واسع، والعبد قد يقصد هذا مرة وهذا مرة، وقد يقصد أكثر من واحد من هذه المقاصد، وكلها في النهاية تعني شيئًا واحد وهو أن العبد يريد الله سبحانه وتعالى ولا يريد سواه وكل ذلك محقق للإخلاص وإن كان لا ينبغي للعبد أن يخلي عبادته من قصد الحب لله المشوب بالتعظيم وهو الجمع بين الخوف والرجاء.

إليك منزلة الإخلاص :

الإخلاص حقيقة الدين قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[2] .

(١) سورة البينة ٥ .
(٢) سورة الزمر ٢-٣ .

فقصر سبحانه ما يصح من الدين على الخالص منه. وهو المنزه عن شوائب الشرك قليلة وكبيرة جليلة وصغيرة. فأفادت الآية أن الإخلاص شرط في دين الإسلام. وهو دين الأنبياء جميعًا وطلب الإخلاص في جميع الشرائع دليل على عظم منزله هذا الخلق العظيم...

الإخلاص هو مفتاح دعوة المرسلين وأعظم الأصول التي جاءوا بها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١).

يقول ابن كثير -رحمه الله- : فما يزال تعالى يبعث إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين بُعِثَ إليهم نوح عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى الأرض، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي بُعِثَ للجن والإنس في مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢).

الإخلاص هو رأس أعمال القلوب التي هي أجلّ أعمال العبد وأعظمها قدرًا. يقول ابن القيم موضحًا ذلك " عمل القلب هو روح العبودية ولبّها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الميت بلا روح ، والنية محلها القلب " .

الإخلاص هو أحد شرطي قبول العمل إذ لا يقبل من أحد قربة بدونه يقول النّبي ﷺ " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصا وَابْتَغِي بِهِ وَجْهُهُ** " (٣).

ولعظم منزلة الإخلاص أثنى الله على المتصفين به ونوه بذكرهم فقال سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾(٤) ، وقال عز وجل عن يوسف عليه السلام ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

(١) سورة النحل آية ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٥ .
(٣) صححه الألباني .
(٤) سورة الأنبياء آية ٥١ .

ولذا فالإخلاص مطلوب في جميع العبادات الظاهرة والباطنة فلا تلقى أن يتوجه العبد إلى الله في عمل دون عمل أو في قربة دون قربة. يقول بين القيم مبينًا أهمية الإخلاص. " العمل بغير إخلاص ولا أقتداء كالمسافر يملأ جرابة رملًا يثقله ولا ينفعه " .

مع وضوح الإخلاص وجلائه إلا أنه أشق الأمور على النفس لأنه يحول بينها وبين تطلعاتها وشهواتها.. فتحقيقه والإستمرار فيه يتطلب مجاهدة كبيرة وهذه المجاهدة لا تقتضي الحاجة إليها على عوام الناس فقط بل الكل محتاج إليها حتى الأشداء من الصالحين والعباد.

يقول أحد الصالحين: (ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليّ ..) .

ويقول أخر: (أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد لإسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه بلون آخر...) .

ولذا فقد كان الرسول ﷺ كثيرًا ما يدعو " **اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِيْ عَلَى دِيْنِكَ** " (١) .

هل تدري ما ثمرات الإخلاص فوق الحياة الطيبة؟!

أولًا : دخول جنات النعيم

ويدل ذلك قول الله : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢) .

فعباد الله المخلصين غير ذائقي العذاب الأليم بل هم في جنات النعيم لأنهم أخلصوا أعمالهم لله فأجتباهم، وأختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه، وعليه

(١) الطبراني في الكبير ١٩/ ٢٩٠ .
(٢) سورة الصافات (٣٨-٤٣) .

"فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى الا العاملون، والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون".

قال رسوال الله ﷺ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١).

ثانيًا : قبول العمل

الإخلاص شرط قبول العمل كما يقول ابن كثير " فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون خالصًا وإن يكون صوابًا على الشريعة "، ودليل ذلك قول النَّبي ﷺ " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ " (٢). وقوله ﷺ "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الْشُّرَكَاءِ عَنْ الْشِّرْكِ" (٣).

ثالثًا : الفوز بشفاعة النَّبي ﷺ في الآخرة

كلما كان العبد أكثر إخلاصًا كان أكثر تأهلًا للظفر بشفاعة النَّبي محمد ﷺ يوم القيامة.

يدل ذلك على قول النبي ﷺ " أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ" (٤).

فهذا الحديث سر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدًا كان أحرى بالشفاعة. فالشفاعة حقيقتها أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بدعوة محمد ﷺ وهو المأذون له أن يشفع لهم.

(١) رواه البخاري .
(٢) صححه الألباني .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) رواه البخاري ٦٥٧ .

رابعًا: تنقية القلب من الحقد

إعلم أنه إذا حل الإخلاص في قلب أحياه، وهذبه من الأفات، وحصنه من السوء والفحشاء وسيء الصفات، يدل ذلك قول النبي ﷺ في حجة الوداع عن زيد بن ثابت رضي الله عنه "ثَلَاثَ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٌ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُوْمِ الْجَمَاعَةِ "(١) .

معناه ألا يكون القلب عليهن ولا بهن غليلًا أبدًا، يعني لا يقوى فيه مرض، ولا نفاق إذا أخلص العمل لله وناصح أولي الأمر ولزوم الجماعة، وبخلاف هذه الثلاث يمتلئ القلب غل وأمراض وخلافها الشرك والغش والبدعة.

خامسًا: مغفرة الذنوب ومضاعفة الأجر

إذا تمكن الإخلاص من عمل كان سببًا في مغفرة ذنب صاحبه، ومضاعفة أجره، حتى لو كانت الطاعة في ظاهرها يسيرة أو قليلة .. فرب عمل صغير تكثره وتعظمه النية ورب عمل كثير تحقره وتصغره النية...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه، وعبوديته لله، فيغفر الله به الكبائر كما في حديث الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ أنه قال: " يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعُوْنَ سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، فَيُقَالُ لَهُ هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُوْلُ لَا يَارَبِّ ! فَيَقُوْلُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ قَدْرِ الْكَفِّ، فِيْهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُوْلُ أَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ! فَتُوْضَعُ هَذِهِ الْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، وَالسِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، فَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ وَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ "(٢).

(١) ابن ماجة في السنن وابن حبان في الصحيح عن زيد بن ثابت ٦٢٨ .
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

فهذه حالة من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم!!.

وفي المقابل متى كان أداء العبد للطاعة دون إخلاص لله وصدق معه كان معرضًا للوعيد الشديد لحديث " أَنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَسْتَشْهِدُ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرِفْتُهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ جَرِيءٌ وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ. وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ جَوَادٌ وَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" . (١)

يقول الرسول ﷺ في الحديث " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوْا يَا رَسُوْلَ اللهِ ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ الرِّيَاءُ. يَقُوْلُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازَى الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوْا إِلَى الَّذِيْنَ تُرَاءُوْنَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُوْنَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " (٢).

سادسًا : الظفر بالنصر والتمكين

فإن من أعظم أسباب النصر والتمكين من الله لأهل الإيمان قيامهم بإخلاص أعمالهم له سبحانه وتعالى . يدل ذلك قول النَّبي ﷺ " إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ

(١) مسلم ١٩٠٥ .
(٢) رواه أحمد وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة عن محمود بن كبير.

بِضُعَفَائِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ "(١).

فإذا تفكرت في حياة السلف تجدهم لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وزكاة نفوسهم وإخلاص قلوبهم وعملهم بعقيدة جعلوا كل شيء وفقًا لها...واقرأ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله.فإن العبد إذا خلصت نيته لله تعالى ، وكان قصده وهمه وعمله لوجه الله تعالى، كان الله معه فإنه سبحانه مع الذين أتقوا والذين هم محسنون.

ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق ، والله سبحانه لا غالب له فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو نياله بسوء وممن يخاف؟! وأن لم يكن معه فمن يرجوا؟! ومن ينصره من بعده؟!.

سابعًا: نيل قبول الناس ومحبتهم

أن الله تعالى يضع لصاحب الإخلاص القبول والمحبة في قلوب الخلق، فما أهنأ هذه الحياة ! بعكس المرائي الذي يطلب الشهرة والمنزلة في قلوب الناس، فالله يعامله بنقيض قصده، والدليل قول النَّبي ﷺ: " مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ "(٢).

وإن لم يكن في الإخلاص إلا ثمرات هذا الحديث لكفى يقول الرسول "ﷺ" مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ "(٣).

---

(١)رواه البخاري في صحيحه .
(٢) رواه الشيخان والترمذي .
(٣) رواه ابن ماجه وصحيح الجامع .

وقد كان هذا الأمر جليٌّ عند السلف علموا أن من أقبل إلى الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه .

ثامنًا : قلب المباحات إلى الطاعات

إخلاص العبد ونيته الصالحة ترتفع بعمله الدنيوي، وتصيِّره عباده متقبله، يدل على ذلك قول النَّبي ﷺ " فِيْ بُضْعِ أَحَدُكُمْ صَدَقَةٌ قَالَ يَارَسُوْلَ الله : يَأْتِيَ أَحَدَنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟، قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِيْ الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" (١) .

وقوله ﷺ : " إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفْقَةً تَبْتَغِيَ بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّىَ مَا تَجْعَلُ فِيْ فَمِ إِمْرَأَتِكَ" (٢).

يتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئًا أصله على الإباحة وقصد به وجه الله يثاب عليه ذلك كالأكل بنية التقوِّي على طاعة الله، والنوم للإستراحة ليقوم إلى العبادة نشيط والاستمتاع بالزوجة ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام وليقضي حقها وليحصِّل ولدًا صالحًا..

والذي ينبغي: أن لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، فهذا سبيل المقربين السابقين " لذا كان السلف يكثرون من إستحضار النية الصالحة في المباحات.

وكما أن الإخلاص يرفع المباحات إلى منزلة الطاعات، فإن الرياء يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنه يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ (٣).

---

(١) رواه مسلم .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري .
(٣) سورة البقرة ٢٦٤ .

روى عن السلف في ذلك أن رجلًا قال لعبادة بن الصامت "أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله ومحمد الناس؟ قال لا شيء لك، فسأله ثلاث كل ذلك يقول لا شيء لك. ثم قال في الثالثة إن الله يقول: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ" اللهم سلم سلم.

وسأل رجل سعيد من المثيب فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال له :أتحب أن تُمقتَ ؟! قال: لا، قال : فإذا عملت عملًا لله فأخلصه.

تاسعًا : بلوغ النية الخالصة مبلغ العمل

صاحب النية الصالحة قد يعجز عن عمل الخير الذي تهفو نفسه الصادقة إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، وقد يجتهد في فعل الخير ولا يدرك موقعه، لكن المطلع على خبايا النفوس يرفع المخلص إلى مراتب العاملين الموفقين. لماذا؟! لأن علو همته وصدق نيته أقوى لديه عز وجل من عجز وسيلة عبده وقلة حيلته.

يقول النَّبي ﷺ " إِنَ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِيْنَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا دَاوِيًا إِلَا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ " وفي رواية : " إِلَا شَارَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ " (١).

ويقول ﷺ : "مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِى أَنْ يَقُوْمَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ "(٢).

ويقول ﷺ : " مِنَ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنْزِلَةَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، مَاتَ شَهِيْدا " (٣).

وفي الحديث الآخر " ذِكْرٌ الرَّجُلُ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَتَمَنَّى مِثْلَ مَالَ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري .
(٢) صحيح الألباني رواه النسائي وابن ماجه .
(٣) رواه مسلم .

فُلَانٍ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ الصَّالِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ.. "[١].

فاعلم أن النية المجردة من العمل يثاب عليها والعمل المجرد من النية لا يثاب عليه، وفي الجانب الآخر نيل الأجر وإن لم يوفق المخلص لوضع الأمر في موضعه.

يقول ﷺ " قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِه فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوْا يَتَحَدَّثُوْنَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ فَتَصَدَّقَ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ. فَأَصْبَحُوْا يَتَحَدَّثُوْنَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ فَتَصَدَّقَ بِصَدَقَتِه فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ. فَأَصْبَحُوْا يَتَحَدَّثُوْنَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! عَلَى غَنِيٍّ! عَلَى سَارِقٍ! فَقِيْلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ لَعَلَّهُ يُعْتَبَرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ. وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعْفِفُ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ.. "[٢]، فنية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت وإن لم تقع الموقع...

الثمرة العاشرة : تنفيس الكرب

إعلم أن إخلاص النية وصدق الإلتجاء إلى الله سبب للنجاة من عذاب الدنيا ومصائبها وتفريج كربها.

قال ﷺ : " مَنْ جَعَلَ الْهُمُوْمَ هَما وَاحِدا هَمَّ آخِرَتِه كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُوْمُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ "[٣].

حديث سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه " ..... وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ها هنا، فقال عكرمة والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره،

(١) صحيح ٢٢٦٠ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجة وهو صحيح .

اللهم إن لك عليّ عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمد ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا فجاء فأسلم. فالإخلاص سبيل الخلاص.

الثمرة الحادية عشر : الإخلاص سببًا في الحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: " إذا كان العبد مخلصًا لله إجتباه ربه، فيحيى قلبه، ويجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم يمر يعطفه آماله، فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو أتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا، وتارة يجذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل،ويعادي من يذمه ولو بالحق، وتاره يستعبده الدرهم والدينار. وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب، والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه. فيتبع هواه بغير هدي من الله. فمن لم يكن مخلصًا لله عبدًا له إستعبدته الكائنات، وأستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاويين إخوان الشياطين.. وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه... فالقلب أن لم يكن حنيفًا مقبلًا على الله، معرضًا مما سواه وإلا كان مشركًا " .

الثمرة الثانية عشر : نيل التوفيق والأنس والبركة

فمتى أخلص العبد لمولاه في عمله، وفق للصواب، ودخله الأنس، وأعطى الذخائر، وبورك له في عمله.. فمن أراد نيل العطايا، وتحصيل الهبات فليتأكد فعلًا من تحقيق الإخلاص...

يذكر أن بعض الناس بلغه أن من أخلص لله أربعين صباحًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فأخلص في ظنه أربعين صباحًا لينال الحكمة، فلم ينالها، فشكى ذلك لبعض حكماء الدين، فقال: إنك لم تخلص لله تعالى ، وإنما أخلصت للحكمة.. فالإخلاص لله إرادة وجهه فإذا حصل ذلك حصلت الحكمة

تبعًا، فإذا كانت الحكمة هي المقصودة إبتداءً لم يقع الإخلاص لله. وإنما وقع ما يظن أنه إخلاص لله سبحانه.

الثمرة الثالثة عشر للإخلاص : النجاة من الفتن

يدل ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1]، أخبر تعالى أنه صرف عنه السوء من الفسق والفحشاء من الزنى بإخلاصه. وذلك لأن القلوب إنما تبتلى بذلك إذا كانت فارغة من حب الله وإخلاصه له فإن القلب لابد من التعلق بمحبوبه فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلابد أن يتعبد قلبه غيره .

اعلم أن أصول المعاصي كلها كبيرها وصغيرها ثلاثة؛ هي :

* تعلق القلب بغير الله .
* وطاعة القوى العصبية .
* والقوى الشهوانية.

فصار هناك ثلاث مداخل، شرك، وظلم وفواحش، وهذه تدعو بعضها إلى البعض فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش،كما أن الإخلاص يصرفها.

السؤال ماهي علامات المخلصين؟!

خمس علامات:

أولًا : إراده وجه الله

سمة المخلصين العظمى أنهم يريدون بعملهم وجه الله فلا يريدون به مغنمًا ولا جاهًا ولا ثناءً ولا عرضًا من عروض الدنيا. وأقرأ قول الله ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

(١) يوسف ١٢٤.

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

ثانيًا: حب عمل الخلوة

المخلصون أحرص على إخفاء صالح أعمالهم من غيرهم على كتمان ذنوبهم رجاء أن ينالهم الخير الوارد في الحديث " **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ** "[2].

وأهل الإخلاص لم يقصدوا الشهرة، ولم يتعرضوا لها ولا لأسبابها فإن وقعت من قِبَل الله تعالى فروا عنها، وكانوا يؤثرون الخمول وقد كان ذلك هديًا في السلف بينًا وسمتًا ظاهرًا لهم.

يقول أحدهم: (اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك).

يقول أخر: (إخمل ذكرك وطيب مطعمك. لايجد حلاوة الآخرة من يحب في الدنيا أن يعرفه الناس).

يقول آخر: (من أحب الله أحب ألا يعرف الناس).

يقول الشافعي -رحمه الله- : (وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم ولا ينسب إلى منه شئ).

ولم يقتصر الأمر على القول أو التوجيه أو التمني بل جاوزوا ذلك إلى الفعل.

وَرَدَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيره عمياء في المدينة من الليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة المسلمين.

وروى عن منصور السلمي رضي الله عنه : صام أربعين سُنَّة وقام ليلها وكان يبكي،

---

(١) الكهف ٢٨ .

(٢) رواه مسلم .

فتقول له أمه يا بني قتلت قتيلًا ؟! فيقول أنا أعلم بما صنعت نفسي، فإذا كان الصبح كحل عيناه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

وروى عن داوود بن أبي هند ﷺ : صام أربعين سنَة لا يعلم به أهله، كان خرازًا يحمل غداه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم.

ورد عن زين العابدين بن الحسن ﷺ : كان ينفق على أهل مئة بيت في المدينة، يأتيهم في الليل بالطعام ولا يعرفون من الآتي به حتى مات، ففقدوا ذلك فعرفوا ذلك منه. ووجدوا في ظهره أثرًا من نقل الطعام إلى بيوت الفقراء الأرامل.

ورد عن ربيع بن حنيثم ﷺ قالت زوجته كان عمل الربيع ﷺ كله سرًا. إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وهذا الإخفاء إنما هو لما شرع إخفاءه من العمل ذلك مخصوص بالنوافل دون الفرائض.

يقول القرطبي -رحمه الله- : (سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لإنتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات كالزكاة أفضل إظهارها وإخفاء الصدقة أفضل.أستثنى من ذلك من يقتدي بهم في الناس، إذ الإبداء في حقه أولي، فقد كان بن عمرو بن مسعود ﷺ وجماعة من السلف يهجدون في مساجدهم ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم ليقتدي بهم... فمن كان إمامًا يقتدي به ويستن بعمله عالمًا بما لله عليه قاهرًا لشيطانه أستوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده) .

قال لقمان لإبنه: الرياء أن تطلب ثواب عملك في دار الدنيا وإنما عمل القوم للآخرة.

قيل فكيف يكتم العمل ؟! قال ما كلفت إظهاره من العمل فلا تدخل فيه الإخلاص، وما لم تكلف إظهاره أحب ألا يطلع عليه إلا الله...

ثالثًا: سرائرهم أحسن من علانيتهم

المخلص لا يظهر التنسك أمام الناس ثم يسيء فيما بينه وبين ربه، بل هو قوام على نفسه يحاسبها كأنه أبدًا يرى الله، فلا روغان في استقامته، وهذا من أعظم القربات، مراقبه الحق على داوم الأوقات.

فهذا أبعد ما يكون عن صفات أولئك الذين ضعف إخلاصهم وقلت مراقبتهم ممن حكى عنهم النَّبي ﷺ لنا حالهم " **لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاما مِنْ أُمَّتِيْ يَأْتُوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُوْرا. قَالَ ثَوْبَانُ يَا رَسُوْلَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُوْنَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ! قَالَ إِمَّا أَنَّهُمْ أُخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُوْنَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُوْنَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَاما إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ! إِنْتَهَكُوْهَا** " (١).

الخلوة قد تكون وحدك، وخلوة أخرى من نوع خاص، وهي الأهم قد تكون في مكان عام، وهذا المكان الكل يعصي الله فيه، وفيه من الأغاني والموسيقى والاختلاط ما فيه والجميع يشجع ذلك إلا أنت، ألا تخوض معهم ويكون عليك رقيب من الله في هذه الخلوة تشعر أنك غريب.

إعلم أنه إن عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد إجترأت على أمر عظيم، وإن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

رابعًا: الخشية من رد أعمالهم

مهما كثرت طاعة العبد المخلص فإنه لا يزال على خوف عظيم من رد عمله وعدم قبوله.

قال الله فيهم والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة .

---

(١) رواه ابن ماجة عن ثوبان بن بجدد .

قال الحسن رحمه الله: لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا بها.

أحد السلف يقول قال لي رجلًا يومًا يا أبو أيوب! إحذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقص أي والله! لئن لم تأت الآخرة للمؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران هم الدنيا وشقاء الآخرة، قال قلت بأبي أنت وكيف لا تأتية الآخرة بالسرور وهو ينصب لله في دار الدنيا؟ فال يا أبو أيوب! وكيف بالقبول؟ وكيف بالسلامة؟، ثم قال كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قربانه، يجمع ذلك يوم القيامة ثم يضرب به وجهه!.

الإمام الماوردي صاحب التصانيف الحسان في فنون عدة كالحاوي الكبير في الفقة، والعيون في التفسير والأحكام السلطانية، و أدب الدنيا والدين، لم يظهر شئ من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته قال لمن يثق به الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي فإذا قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيئًا منها. فاعمد إلى تلك الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي فاعلم إنها قبلت. قال الرجل فلما أحتضر وضعت يدي في يده فبسطها فأظهرت كتبه.

خامسًا عدم إنتظار محمدة الناس:

فهم عندما يحسنون إلى الخلق، ويسعون في تنفيس كربهم، وتفريغ همومهم، لا يرون لهم على أحد حقًا ولا فضلًا لأنهم أنما عملوا ما عملوا طاعة لله تعالى، وإرضاء له، فهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [1]، ولذا تراهم لايعاتبون من أساء اليهم، ولايحقدون على من

(١) سورة الشعراء ١٢٧ .

منعهم، ولا يرجون من الخلق جزاءًولا شكورًا ، حالهم يقول: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [1]، أما و الله ما قالوا بألسنتهم ولكن علم الله ما في قلوبهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل رسول الله ﷺ ما قالوا؟ ، فإذا ذكر دعاؤهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله...

إقرأ قصة صاحب النقب! :

حاصر مسلمة حصنًا فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحة الله عليهم. فنادى مسلمة أين صاحب النقب؟! فما جاء أحد ، فنادى إني قد أمرت الإذن بإدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال أستأذن لي على الأمير فقال له أنت صاحب النقب؟! قال أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمه فأخبره عنه فإذن له فقال له أن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا : ألا يسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال فذاك له: قال أنا هو.. فلما مات كان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

كيف أحصَل الإخلاص وأستمر فيه؟!

لتحصَل الإخلاص هناك عدة مفاتيح :

المفتاح الأول : تعظيم الله تعالى وقدره حق قدره :

بمعرفة عظمته سبحانه وكماله وجلاله، وأنه عز وجل الغنى الكبير المتعال، القادر على كل شيء ، وأنه العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه سبحانه

(١) سورة الإنسان ٩ .

الذي بيده النفع والضر، لا شريك له فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن.

وبمشاهدة منة الله تعالى وفضله وإحسانه تستشعر أنك بالله لا بنفسك، كل نعمة منه وكل خير فمن جوده وإنعامه، إذا علمت ذلك كله أيقنت أن حقوقه سبحانه عظيمة، وأنك أضعف من أن توفيه تعالى حقه أو أن تشكره على نعمه حق الشكر، وبهذا يقوى الإيمان واليقين ويعظم توجك إلى ربك وإخلاصك له ..

ولن تعظم الله إلا إذا عرفت حقيقة نفسك، ولم يغب عنك رؤية التقصير.

المفتاح الثاني: تعلم الإخلاص :

من أعظم سبل تحقيق الإخلاص معرفة حقيقته، وقد تقدم شرحها، ومعرفة الأمور التي تنافيه وتقدح في كما له، سأوجزها في الصفحات القادمة.. جاء عن أهل العلم الأمر بتعلم ذلك يقول ابن كثير-رحمه الله-: "تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل " فليت شعري كيف تصلح نيّة من لا يعرف حقيقة النية؟! أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟! أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟! ويعلم الأمور التي تنافيه؟!.

فالوظيفة الأولى عليك إذا أردت طاعة الله تعالى أن تعلم النية أولًا، ليحصل لك المعرفة، ثم تصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الإخلاص والصدق فيه، فهما وسيلتان لك إلى النجاة.

ولشدة الحاجة إلى ذلك قال عبد الله بن أبي جمرة "وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم. ويقعد في التدريس في أعمال النيات ليس إلا.. فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع النيات". رحم الله عبدًا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغير الله أمسك حتى يصحح نيته.

المفتاح الثالث: تذكر ثواب الإخلاص وعاقبة ضده

ليصفوا لك الإخلاص عليك أن تتذكر ثوابه وفضائله، فهو سر قبول العمل والسبيل الوحيد لدخول الجنة، وبوابة السلامة من كيد الشيطان ووساوسه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾.(٢)

وفي المقابل لابد من تذكر عاقبة فقد الإخلاص، إذ ذلك يحبط عمل العبد بل يؤدي به إلى النار ويكون سبيل فضيحته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(٣) وحديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار، وحديث من سمع سمَّع الله به، والأحاديث كثيرة.

المفتاح الرابع: مراقبة النفس ومجاهدتها:

والمراقبة لها وجهان: الوجه الأول كأنك تراه والوجه الثاني إنه يراك.

الوجه الاول: كأنك تراه:

إذا ابصرت تذكر أنك بالله تبصر، وإذا نطقت تذكر أنك بالله تنطق، وإذا سمعت تذكر أنك بالله تسمع، وإذا تفكرت تذكر أنك بالله تفكر، وإذا نمت تذكر إنك بالله

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩، ٤٠.
(٢) سورة الصافات آية ٣٨:٤٣.
(٣) سورة هود آية ١٦، ١٥..

تنام، وإذا استيقظت تذكر إنك بالله تستيقظ، كأنك تراه سبحانه في نعمه عليك، في نفسك ألاتبصر؟! وفي الكون حولك ألا تنظر؟! عندها ستزول الحجب بينك وبين الله عز وجل وهنا يتعلق قلبك بالله ويصير الحب الأكبر لله ، ويسقط من قلبك كل ما سواه.. عندها تشعر أنك بالله ومن الله وعلى الله وإلى الله. إذا وقع بصرك في السماء وجدت آياته ولطفه وجماله وجلاله وكبريائه وعظمته كأنك تراه، إذا وقع بصرك في الأرض وجدت آياته ونعمه وفضله ومنه وكرمه وإحسانه وحلمه وصبره على عباده كأنك تراه عندها تصل إلى النعيم الذي والله الذي لا إله إلا هو ما بعده نعيم.

وهو الأنس بالله والقرب منه واستشعار قربة وحبه. وهذه نعمة ولكي تغذي قرب الله منك أكثر من ذكره حتى لا يغيب عن بالك لحظة! هذه درجة الإحسان الأولى أن تعبد الله كأنك تراه عبادة حب ناتجة عن المراقبة .

الوجه الثاني : إنه يراك :

أي أن تعلم تمام العلم وتتيقن تمام اليقين أن الله يعلم فعلك وقولك وإعتقادك. نعم تتيقن تماما أن الله يعلم فعلك، يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[1] فالله تعالى يراك حين تقوم من الليل في مكان خال لا يطلع عليك أحد، فالله يراك حتى لو كنت في أحلك ظلمة. الله يراك ، وتقلبك في الساجدين، يراك وأنت تتقلب مع الساجدين من الليل. أيضًا من مراقبتك لله تعلم تمام العلم أن الله يسمع قولك، بأي قول قلت وبأي لغة تكلمت، كما قال ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2] .

فالذي تتكلم به سرًا أو جهرًا خيرًا كان أم شرًا فإنه يُكتب لك أو عليك﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[3] كان بعض السلف يعد كلامه من الجمعة

(١)سورة الشعراء آية ٢١٨ - ٢١٩ .
(٢)سورة الزخرف آية ٨٠ .
(٣) سورة ق آية ١٦.

إلى الجمعة ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يضع حجارة صغيرة في فمه إذا فرغ من الأكل أو الذكر.

أيضًا من مراقبتك لله أن تعلم تمام العلم أن الله يعلم اعتقادك وما في قلبك. فانظر ماذا في قلبك؟ من شرك أو رياء أو إنحراف أو حقد على المسلمين أو بغضاء أو حسد أو محبة للكافرين، أو ميل إلى الممثلين، وما أشبه ذلك من الأمور التي لا يرضاها الله عز وجل. راقب قلبك فإن الله يقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] ، فمراقبة الله تتم في تلك المواضع الثلاثة فعلك وقولك واعتقادك ماذا بقي من حياتك؟ ولهذا قال ﷺ عن الإحسان : "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " [2]. فهذا الوجه الثاني للمراقبة إنه يراك.

*قال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلاث سنين أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت كيف أذكره؟، قال قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك الله معي، الله ناظري إليَّ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلت، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سَنَة قال لي خالي : إحفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت في ذلك حلاوة في قلبي ثم قال لي خالي يومًا : يا سهل من كان الله معه وناظر إليه وشاهده أيعصيه؟! إياك والمعصية! إياك والمعصية! .

وأصبح سهل من كبار العارفين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه وغرس في نفسه أرقي معاني الإيمان والمراقبة.

(١)سورة ق آية ١٨ .
(٢) صحيح البخاري .

*عن ابن سرين قال: إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه.

هذا ولا بد للعبد من الجمع بين وجهي المراقبة كإنك تراه (عبادة حب) وأنه يراك (عبادة خوف) فما أنفع للعبد أن يتقلب بين الرجاء والخوف. نعم لابد بجانب الحب من الخوف منه سبحانه.

قال صاحب (المدارج) " القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناجان فهو عرضه لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف ".

ويأتي الخوف من علمك أنه سبحانه لا تخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء، وإنه سبحانه ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، إذا كانت الورقة الساقطة يعلمها، فما بالك بالأوراق النامية التي يغذيها هو، وينميها هو، وإذا كانت النباتات يعلمها فما بالك بالحيوان وما بالك بالإنسان والجن هؤلاء المكلفين والذي أعد لهم الجنة والنار وحساب وجزاء وصراط وغيره! ولا حبَّة في ظلمات الأرض عليها خمس ظلمات، ظلمة الطين في البحر، وظلمة ماء البحر، وظلمة الليل، وظلمة السماء، وظلمة المطر المنهمر،ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين والله يعلمها ، فما في الأرض من شجرة، ولا مغرز أبرة إلا عليها ملك موكل، يأتي الله بعلمها رطوبتها ويبوستها.

إذًا من كان هذا سعة علمه، ألا يجب علينا أن نخافه!! .

يجب ألا يغيب عنا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى ، نفسك مكشوفة أمام ربك ولا محالة وأنت مقبل عليه ولا محالة، ألا ننظف أنفسنا قبل الإقدام عليه ؟! ، إنه يراك بكل ما في قلبك من خطرات، فهلَّا اعتنينا بإصلاح قلوبنا مثل إصلاح أبداننا؟!، ولنا وقفة مع كيفية إصلاح القلوب إن شاء الله في هذا الكتاب.

المفتاح الخامس: الإستعانة بالله

من مفاتح تحقيق الإخلاص إفتقارك إلى الله عز وجل، وكثرة الدعاء والتوسل إليه بأن يوفقك للإخلاص، إذ هو سبحانه مقلب القلوب ومصرفها، فالإستعانة بجنابه هي الطريق القويم لتحصيل الإخلاص ودفع ضده، ولذا فرض الله عز وجل على العبد أن يردد في اليوم الواحد مرارًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، واسأل الله "**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ**" فأكثر من الإستعانة وألحَّ في الطلب، فإن من يكرر الطرق ويشتد فيه، يوشك أن يلج.

المفتاح السادس: الإكثار من الطاعات

إعلم أن النفس إذا ألفت الطاعة أنفت من المعصية، ومراد الشيطان منك أن تترك الطاعة بالكلية أو أن تأتي بها على غير وجهها (نية وكيفية) فإذا عرف الشيطان أنك تراغمه ولاتطيعه، وأنك متى أحدث لك وسوسة زدت من تعبدك وإخلاصك، فإنه يكف عنك لكي لا يكون سببًا في زيادة حسناتك.

يقول الحسن البصري: إذا نظر إليك الشيطان، فرآك مداومًا في طاعة الله ملَك ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا، ومرة هكذا طمع فيك.

حكى أنه جاء غلام لأبي ذر ﷺ بشاة له قد كسر رجلها فقال له أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة؟! قال أنا، قال له ولم فعلت؟! قال عمدًا لأغضبك فتضربني فتأثم، قال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي، فأعتقه. هكذا كان السلف رضوان الله عليهم، من ذكرهم بسوء دعو له ليغيظوا من حضهم من شيطان أنس كان أو جن ، هؤلاء فهموا اللعبة الشيطانية، هو طُرد من الجنة وهم يعادونه في الله.

---

(١)سورة الفاتحة آية ٥ .

المفتاح السابع: ترك الإعجاب بالنفس والمبالاة بالخلق

من أعظم مداخل الشيطان عليك دفعك لترى عملك، وتعجب به، وتطالع المخلوقين أثناء فعلك.

وإعلم أن العجب بالعمل من باب الإشراك بالنفس، كما قال ابن تيمية -رحمه الله- وهو ناتج عن إستعظام العمل فكأنك بعجبك بعملك مانٌّ على الله تعالى بفعلك، وأنت بذلك تنسى نعمته سبحانه عليك بتوفيقه لك بفعل الطاعات. قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وهو أمر محبط للعمل ولعياذ بالله.

وكيف الخلاص منه؟! كيف الخلاص من العجب بالعمل الذي هو من باب الإشراك بالنفس؟!.

إذا شرعت في قول أو عمل مما تبتغي به مرضاة الله، طالع فيه منة الله عليك، وتوفيقه لك فيه، وأنك بالله لا بنفسك، ولا بمعرفتك، بل هو الذي أنشأ لك اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي منَّ عليك بذلك هو الذي منَّ عليك بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظتك ونظر قلبك لم يحضرك العجب، فإذا غبت عن تلك الملاحظة، وثبت النفس، فقامت في مقام الدعوى فوقعت في العجب ففسد عليك القول والفعل.

واعلم أن مطالعة المخلوقين والإهتمام بنظرهم وحب حمدهم، وكراهية ذمهم في الطاعات، من باب الإشراك بالخلق كما قال ابن تيمية -رحمه الله- شيخ الإسلام وداعي النفس إليه قوي، إذ النفوس مجبوله على حب أن يكون لها منزلة في قلوب الخلق ومن غاب عليه ذلك صار مقصور الهمّ على ملاحظة الخلق، مشغوفًا بالتردد إليهم، والمراءاة لهم، ولا يزال في أفعاله وأقواله ملتفًا إلى ما يعظم منزلة عندهم،

(١) سورة الحجرات آية ١٧ .

وذلك بذر النفاق، وأصل الفساد لأن من طالب المنزلة في قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه..

كيفية الخلاص من ذلك؟!

تذكر قول النَّبي ﷺ " **وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ أَجْتَمَعتْ عَلَىَ أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوْكَ الإ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنْ إِجْتَمَعُوْا عَلَىَ أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَئٍ لَمْ يَضُرُّوْكَ الإبِشئْ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الْصُّحُفُ** "[1]، فمراءة الآخرين لا تجلب لك نفعًا ولا ضرًا، بل مقت الله والناس..وتذكر أن ذاك العجب يجعلك تفقد الإخلاص، فيحبط عملك، فلا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار. فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكينة اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح، سهل عليك الإخلاص.

المفتاح الثامن: مصاحبة الأخيار

من أعظم صوارف الإخلاص مصاحبة غير المخلصين، وذلك لأن الصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده، فالطباع مجبولة على التشبه والإقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري، فمن جالس المخلصين تحرك الإخلاص لديه، ومن خالط أهل الرياء والسمعة تأثر بهم. ولشدة أثر الصحبة: قال رسول الله ﷺ: " **الْمَرْءِ عَلَىَ دِيَنِ خَلِيْلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ...** "[2]، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه فإن كان صاحب صدق وإخلاص حمله على ذلك وإن كان صاحب رياء وسمعه وهوى حمله على ذلك.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام " **مَثَلُ الْجَلِيْسِ الْصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ الْسَّوْءِ**

(١) رواه الترمذي .
(٢) صحيح رواه أبو داوود والترمذي .

كَحَامِلِ الْمِسْكِ أَوْ نَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ أَمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَأَمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَأَمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبًا، وَنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثًا.."[1] (يحذيك: يعطيك بدون ثمن) .

المفتاح التاسع: التأسي بالمخلصين

من أقرب طرق تحصيل الإخلاص التأسي بالمخلصين والسير على منهجهم. لأن المحاكاة هي أسلوب الأمثل لإعادة وتحقيق ما نجح فيه الآخرون. فالقدوة الحسُنَة مثال حي يثير في النفس التقدير والمحبة، ويقنعها بإمكانية الوصول للكمال، ويحفزها للعمل، لذلك جاء قول الله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ ﴾[3] ، وحث الرسول بالإقتداء به وبالخلفاء الراشدين من بعده. يقول الشاعر:

إذا أعجبتك خصال إمرئ ∴ فكنها تكن مثل ما أعجبك
فليس على الجود والمكرمات ∴ إذا جئتها حاجب يحجبك

وسبيل معرفة إخلاص المخلصين مطالعة سيرهم، طالعها مرة بعد مرة، فالحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلى المؤمن من كثير من الفقة لأنها أدب القوم وأخلاقهم.

المفتاح العاشر: إتخاذ الإخلاص هدفًا

كثيرون هم أولئك الراغبون في الإخلاص، لكن المخلصون منهم قلة، ذلك أن رغبتهم تلك لم تتخذ هدفًا فتترجم إلى ممارسة وعمل، فإذا أردت أن تكون

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع .
(٢)سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٣)سورة الأنعام آية ٩٠ .

مخلصًا، فإجعل الإخلاص هدفك الذي تريده، وتتجه إليه دومًا، ثم عليك أن تقرر إستعدادك لدفع ثمن تحقيق ذلك الإخلاص، وتحويله إلى سلوك معاش، وعادة مقصودة في الحياة. ثم بادر إلى دفع ذلك الثمن فعلًا...كيف ؟!، بأن تقطع الطمع عما في أيدي الناس.. بأن تترك التعليق بالدنيا وإتخاذها عرضًا.. تكمح جماح نفسك، وطمعها الشديد في الحصول على حمد الناس وثنائهم. إذا فعلت ذلك ستكون بإذن الله من القلة التي حازت الإخلاص.

و مما يعين على تحقيق الإخلاص أن تفهم مسائل فيه:

المسألة الأولى: ما يضاد الإخلاص من الرياء والسمعة، العجب بالنفس في طاعته، وإتباع الهوى.

فالرياء هو إظهار العبادة بقصد رؤية الناس، ونيل حمدهم، والسمعة هي إسماع الناس طاعته كأن يقرأ القرآن ليسمعوه وقيل المراد بالتسميع أن يحدث المرء غيره بما يفعله من الطاعات التي لم يطلع عليها المتحدث إليه إذ جعل التسميع ضربين أحدهما تسميع الصادقين هو أن يعمل الطاعة خالصة لله ثم يظهرها ويسمع الناس بها ليعظموه ويوقره ولا يؤذوه.. الثاني تسميع الكاذبين، وهو أن يقول صليت ولم يصل، ويقول زكيت ولم يزكي، أو صمت ولم يصم....

فجاءت النصوص بالتحذير من الرياء والسمعة بحالتيه حيث أن أضر شيء على العبد أن يعمل عملًا، أو يقول قولًا، لا يريد به وجه الله، جميل ظاهره قبيح باطنه، يبطن غير ما يعلن، ويظهر بخلاف ما يبطن. يسبح ويهلل ويقرأ القرآن ويخطب ويعلم ويدعو إلى الله بلسانه، وقلبه غافل ، وبغير الله مشغول وعلى سواه متكل وحسبه من الخير ثناء الجاهلين عليه، وإستمالة قلوبهم إليه، إذا قرأ جوَّد وإذا وعظ بكي، يقول بفيه ما ليس في قلبه ، يرائي الناس بما يعمله لربه ، وفيه يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ

يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[١] ، ويحذر ربنا تبارك وتعالى عباده المؤمنين من الرياء بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[٢] .

إقرأ قول النَّبي ﷺ " **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، فَقَالَ : الشِّرْكُ الْخَفِيُّ ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ** "[٣] . وقوله ﷺ : " **مَنْ سَمِعَ النَّاسُ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ** "[٤] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النَّبي ﷺ : "**مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ** "[٥] .

لهذا الحديث يحذرنا الرسول ﷺ من الرياء والسمعة، وأن يعمل المسلم عملًا ينبغي به الشهرة وثناء الناس عليه لأنه لا يصنع الخير حبًا فيه، ولا يترك الشر كراهية له، بل ربما إذا خلا بنفسه أرتكب العظائم، وقصر في الواجبات والمندوبات، ومن أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو، واتصف بصفة المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[٦] ، فاعلم رحمك الله أن من قصد بعمله المنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديث عند الناس الذين

(١) سورة الماعون أيه ٤-٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٤ .
(٣) حسنه الألباني في صحيح الترهيب.
(٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير .
(٥) رواه البخاري ٤٣١٦ .
(٦) سورة النساء آية ١٤٢ .

أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة..وقيل المعنى في قول سمَّع الله به: أي شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من حيث السريرة .

قال الشيخ ابن عثمين -رحمه الله- عند قوله " **مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ** " يعنى من قال قولًا يتعين به الله ورفع صوته بذلك حتى يسمعه الناس ويقولون فلان كثير الذكر، كثير القراءة، وما أشبه ذلك فإن هذا قد سمَع عباد الله يرائي بذلك سمَع الله به أي فضحه وكشف أمره وبيَن عيبه للناس ويتبين لهم أنه مرائي. والحديث لم يفيد هل هو في الدنيا أو في الآخرة فيمكن أن يسمَع الله به في الدنيا فيكشف عيبه عند الناس ويمكن أن ذلك في الآخرة وهو أشد والعياذ بالله ، وأخرى كما قال تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

ويدخل في الحديث الذين يحبون أن تشيع الفاحشه في المؤمنين، والذين يتتبعون عثرات الناس من أجل أن يفضحوهم وقوله **وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ** وهو أن يفعل شيء ليراه الناس وأراده العامل بعبادته غير وجه الله فيقصد إطلاع الناس على عبادته وكماله فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء وعلى الرياء يترتب حسن الخاتمة وسوءها كما جاء في الحديث "**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُوَ لِلنَّاسِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا الإِ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُوَ لِلنَّاسِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**"[2].

*وعن محمود بن لبيد ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوْا يَا رَسُوْلَ الله وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالَ الرِّيَاءُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُوْلُ يَوْمَ يُجَازَى الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ إِذْهَبُوا إِلَى الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تُرَاءُوْنَ بِأَعْمَالِكُمْ**

(١)سورة فصلت آية ١٦.
(٢)صححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥).

فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُوْنَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟ " (١).

* قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه للمرائي علامات : يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم " (٢).

* ويقول الفضيل بن عياض: وكانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون"..

كيف الخلاص من الرياء والسمعة ؟!:

لايستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة، ومكابدة لقوة الشهوات، وذلك بأمرين الأول قمع عروقه واستئصال أصوله وهي لذة المحمده، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، وهذه الثلاثة راجعه إلى حب المنزلة. الثاني أن يشمر الإنسان عن ساعد الجد لدفع ما يعرض من خاطر الرياء، وخواطره ثلاثة أيضًا هي: العلم بإطلاع الخلق ورجاء إطلاعهم، ثم هيجان الرغبة في النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم، ويعقب ذلك هيجان الرغبة في قبول النفس الحمد والمنزلة والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه .. الخاطر الأول يسمي معرفة والثاني رغبة وشهوة والثالث العزم. وكمال القوة في دفع الخاطر الأول قبل أن يعقبه الثاني، فإذا خطر لك معرفة إطلاع الخلق أو رجاء إطلاعهم، دفعت ذلك بأن تقول مالي و للخلق، علموا أو لم يعملوا، والله عالم بحالي، فأي فائدة في علم غيره؟؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد، فعليك أن تذكر تعرض المرائي للمقت عند الله يوم القيامة، وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، وعندئذ تثور عندك كراهة للرياء تقابل تلك الشهوة، إذ تتفكر في تعرضك لمقت الله وعقابه الأليم. الشهوة تدعوك إلى القبول، والكراهة تدعوك إلى الإباء، والنفس تطيع لا محاله أقواهما، ويتضح من ذلك أن لابد في رد الرياء الذي خطر أثناء العبادة من المعرفة والكراهة والإباء، أما

(١) متفق عليه .
(٢) راجع الأحياء (٣/ ٢٩٦) .

من الناحية العملية فإن دفع الرياء يستلزم منك أن تعود نفسك إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبك بعلم الله، ولا تنازعك نفسك بطلب علم غير الله به، وهذا وإن كان يشق في البداية إلا أنه يهون بالصبر عليه، وبتواصل الطاف الله تعالى وبما يمد به عباده من التأييد والتشديد، إذن طريق الخلاص من الرياء والسمعة أن تعمق إيمانك وتلجأ إلى ربك وتتفرغ إليه، وتزهد في الدنيا، وتعلم حقارتها، وتدرك عاقبة الرياء والسمعة في الدنيا والآخرة، وما لم تفعل ذلك فسيكون من العسير عليك مدافعتهما وإجتثاث باعثهما من القلب.

وأما العجب بالنفس: فهو كبر باطن بخصال النفس يورث كبرًا ظاهرًا في الأوقوال والأفعال والأحوال... والشخص المعجب هو الشخص المزهو بنفسه، المغتر بطاعته.. ومتى أصيب المرء بداء العجب فقد وقع في الهلكة.

وروى أن عمر رضي الله عنه " خرج وعلى ظهره قربة فقيل له يا أمير المؤمنين ما هذا؟! قال إن نفسى أعجبتني فأحببت أن أذلها.

وهذه قصة النَّبي الذي أعجب بقومه ، يرويها لنا رسول الله ﷺ " روى الأمام أحمد في مسنده عن صهيب قال " كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئا لَا أَفْهَمُهُ وَلَا يُخْبِرُنَا به، قَالَ أَفطنْتُمْ لِي؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ أَنَّى ذَكَرْتُ نَبيا مِنْ الْأَنْبِيَاء أَعْطَى جُنُوْدا مِنْ قَوْمِه (وَفِي رِوَايَة أَعْجَبَ بأُمَّته) فَقَالَ مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاء. أَوْ مَنْ يَقُوْمُ لِهَؤُلَاء؟ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْكَلَام. فَأَوْحَى إِلَيْه أَنْ أَخْتَرْ لِقَوْمِكَ إِحْدَى ثَلَاث: إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ الْجُوعَ، أَوْ الْمَوْتَ، فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا أَنْتَ نَبِيُّ الله فَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ خِر لَنَا: فَقَامَ إِلَى الصَّلَاة وَكَانُوْا إِذَا فَزِعُوْا فَزِعُوْا إِلَى الصَّلَاة فَصَلَّى مَا شَاءَ اللهُ.. قَالَ ثُمَّ قَالَ إِى رَبِّ أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوْ الْجُوْعُ فَلَا، وَلَكِنْ الْمَوْتُ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتُ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُوْنَ أَلْفا، فَهَمْسَى الْأَوَّلِ أَنِّى أَقُوْلُ : اَللّٰهُمَّ بِكَ

أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله "[1].

فانظر عاقبة العجب الوخيمة، إذا هو يضعف التوكل على الله، والإعتماد عليه، ويجعل المرء يعتمد على الأسباب الدنيوية، من هنا نفهم لماذا كان العجب مهلكًا؟ لأن صاحبة يستعظم عبادته، ويمن على الله بفعلها وينسى نعم الله عليه وتوفيقه وتمكينه منها.فإذا عجب بها عمي عن آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعًا.

فإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه، ويحمدها ويزكيها دون حمد الله.

*وقد أدرك السلف هذا الأمر، قيل لعائشة " متى يكون الرجل سيئًا ؟ قالت إذا ظن أنه محسن".

*قال ابن عبد الله " لأن أبيت نائمًا، وأصبح نادمًا، أحب إلى من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا.

*قال مسروق " كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله،وكفى بالمرء جهلًا أن يعجب بعمله.

كيفية الخلاص من عجبِ النفس ؟!:

مرد العجب بالنفس إلى الجهل المحض بها، وعدم معرفته حقيقتها، والعلاج أن يعرف المعجب حقيقة نفسه، وكثرة عيوبه، وأن يقدر ربه حق قدره.

*روى أن مالك بن دينار مر عليه ملهب بن أبي صفره وهو يتبختر في مشيته فقال له مالك : أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين! فقال له الملهب: أما تعرفني؟! فقال له: أعرفك أحسن المعرفة. قال: وما تعرف مني؟ قال أما أولك

(١)رواه أحمد

فنطفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة . قال الملهب الآن عرفتني حق المعرفة.

نعم فنحن في الأولى من ماء وطين، وفي الثانية من ماء مهين، ثم نحمل الأنجاس على الدوام، ولو حُبِسَ عنا الهواء لصرنا جيفًا.

وأما اتباع الهوى : الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهو الباعث لصاحبه على العمل، فمتبع الهوى لا يهوى شيئًا إلا أتاه واتجه إليه فإلهه هواه.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١).

و قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣).

فالهوى شر داء خالط القلب وصاحبه، كلما هوى شيئًا ركبه وكلما أشتهى شيئًا أتاه لا يعجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ، ذلك لأن صاحب الهوى يعميه الهوى، ويصمه، فلا يستحضر ما لله ولرسوله في ذلك ولايرضى لرضى الله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى إذا حصل ما يرضاه هواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له هواه وهذا بخلاف المخلص فإنه يتجه إلى الله بكليته. كما قال الله ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤) أي كفها عن شهواتها الصاده عن طاعة الله فإتباع الهوى

(١)سورة الفرقان آية ٤٣-٤٤ .
(٢)سورة الجاثية آية ٢٣ .
(٣)سورة القصص آية ٥٠ .
(٤)سورة النازعات آية ٤٠.

مضاد للإخلاص مبطل للعمل.

بل أن متبع الهوى إذا عمل عملًا صالحًا إتباعًا لهواه لا عبودية لله فإن عمله غير مقبول، ذلك لأنه لم يقصد بعمله وجه الله بل إتباع هواه.

* يقول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- :" لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه ، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين " .

ومخالفة الهوى شاقة على النفس ولذا بلغ الهوى بأهله مبالغ لا يبلغها غيرهم، وكفى شاهدًا على ذلك حال المحبين، وحال من بعث إليهم رسول الله ﷺ من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، ولم يرضوا بمخالفة الهوى لذا فقد قصد الشارع بوضع الشريعة إخراج المكلف عن إتباع هواه حتى يكون عبدًا مخالصًا لله تعالى ، أي حتى يكون عبدًا إختياريًا كما كان عبدًا إضطراريًا. فعلى مريد الإخلاص:أن يقوي إرادته ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوي، فأفضل الجهاد جهاد الهوى .

المسألة الثانية : ثناء الناس على العمل:

يلازم المخلص العمل الصالح كارهًا الشهرة، وظهور ما لايشرع ظهوره من عمله، فما صدق لله من حب الشهرة ، لكن ذلك يعود على المخلص بعكس مراده، فيحبه الناس لتلك الملازمة ويحمدونه عليها فيسر بذلك ويستبشر من دون تعرض منه لحمدهم وتقصّد لنيل ثنائهم ، فهذه بشرى لا تضر العبد ولا تخرجه عن الإخلاص يدل ذلك قول أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ " **أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَحْمَدِهِ النَّاسِ عَلَيْهِ ؟، قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**" (١) .

(١)رواه مسلم

*وللمقدس تفصيل في ذلك حين قيل له فما ترى أحدًا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته، فهل جميع ذلك مذموم ؟؟!! ، الجواب: السرور ينقسم إلى محمود ومذموم. فالمحمود أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما أطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم، وأظهر الجميل من أحواله، فيسر بحسن صنع الله.. فيسر بماذا؟ يسر بحسن صنع الله ونظرته له ولطفه به، وإعجابه بربه، سبحان الله يأبى الله إلا أن يبني له منزلة في قلوب الخلق لم يطلبها طالب الإخلاص!، لا بحمد الناس، وقيام المنزلة في قلوبهم.. أما من كان فرحه بإطلاع الناس عليه لقيام منزلته عندهم حتى يمجدوه ويعظموه ولينفعوه ولا يضروه هذا مذموم .

المسألة الثالثة : ترك العمل مخافة الرياء:

ترك العمل خشية الرياء وسوسة من الشيطان فلوا أمتنع العبد عن الطاعة خوفًا من الرياء لأوشك إذا علم منه الشيطان بذلك أن يعترض له عند كل عمل بالخطرات بالرياء فيدع كل طاعة... فعلى العبد أن يمضي على طاعته فإن ذلك شديد الألم على شيطانه. فمن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام الليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده حيث كان لأجل كونه في الناس.

فالأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفًا من الرياء بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها.

*قال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما. فمن عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراء، لأنه ترك العمل لأجل الناس أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن يكون فريضه أو زكاة واجبة أو يكون عالمًا يقتدي به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل. من وفق لإبتداء عمله بنية صالحة، فعليه

أن يجاهد بنفسه ليستمر على الإخلاص، ويبتعد عن ضده نظرًا لتبدل النية وتقلبها في لحظات.

*يقول سليمان الهاشمي : ربما أحدث بحديث واحد ولي فيه نية فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي فإذا الحديث الواحد تحتاج إلى نيات، لكن ليس لك أن تترك العمل خوفًا من الرياء. فإذا أتاك الشيطان وأنت في صلاة فقال أنك مراء فزدها طولًا وحسنًا .

المسألة الرابعة: الإقبال على العمل عند مخالطة الصالحين

يشعر المرء حين يكون بين أظهر الأخيار العاملين بعلو همة فيسابق بعد ذلك في الخيرات، وينشط في الإقبال على الطاعات، فربما أطالوا قيام الليل فأطال معهم وربما تصدقوا فتصدق معهم، ولولاهم ما علت همته. فيظن ظان أن ذلك رياء مناف للإخلاص، وليس الأمر كذلك، يدل لذلك حديث حنظلة رضي الله عنه ، ومنه " فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُوْ بَكْر حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُوْل الله ﷺ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَارَسُوْلَ! فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ الله نَكُوْنُ عِنْدَكَ، تَذَكَّرْنَا بِالنَّار وَالْجَنَّة حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ الْعَيْن فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَات نَسِينَا كَثِيْرا. فَقَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِه أَنْ لَوْ تَدُوْمُوْنَ عَلَى مَاتَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْر لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنَّ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " (١) .

والفكرة في أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ولكن تعوقه العوائق وتستهويه الغفلة فربما كانت مشاهدة الغير سببًا لزوال الغفلة وبالعكس ما يكون في منزله تمكّن من النوم على فراش بيته لكن إذا بات في مكان غريب أندفعت هذه الشواغل وتشجع بمشاهدة العابدين ،وكذلك الصوم قد يعسر

(١)رواه مسلم .

عليه في منزله لكثرة المطاعم، فيأتيه الشيطان ويقول إذا عملت غير عادتك كنت مرائيًا. فلا يلتفت إليه وإنما ينظر في قصده الباطن.

المسألة الخامسة: تشريك النية

لتشريك النية صورتان:

الأولى: أن يقصد العبد بعمل واحد قربتين فأكثر، وجواز ذلك إستثناء، إذا الأصل أن لكل قربة عباده، أو عمل خاص بها. فمثلًا لو نؤدي بالصلاة الرباعية الظهر والعصر لم يصح. ولكن جاء الشرع باستثناء بعض العبادات، من ذلك: أن ينوي بغسله الجمعة والجنابة، بصلاته تحية المسجد والسُنَّة الراتبة. بصدقته على القريب الصدقة والصلة. بمكثة في المسجد الإعتكاف وإنتظار الصلاة، بطوافه القدوم والعمرة. بقراءته القرآن القربة وعدم النسيان. ونحو ذلك من صور التشريك المشروعة والتي لا تتنافى مع الإخلاص، بل كلما أكثر العبد من استحضارها زاد أجره، فإن تداخل العبادات في العبادة الواحدة باب عزيز شريف لا يعرفه إلا صادق الطلب، ضلع في العلم، عالى الهمة بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..

الثانية: أن يقصد العبد بعمل واحد قربه وعمل مباح في آن واحد، أمثله: يخلط في الوضوء نية الطهارة ونيه التبرد والتنظيف. في الصوم نية التقرب ونية الحمية. في الحج نية أداء المناسك ونيه التجارة والترويج، هذا التشريك لا يقدح في الإخلاص لأن هذا التشريك لأمور من المصالح ليس لها إدراك، وهذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق.

نعم إنه قد ينقص الأجر وإنه إذا تجردت العبادة زاد الأجر، أما الإثم والبطلان فلا سبيل، والدليل حديث رسول الله ﷺ: " **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ** " .

المسألة السادسة: حالات العمل مع الرياء:

للعمل مع الرياء حالات متنوعة:

* إما أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى لا رياء فيه ولا سمعة فهذا سبيل للرفعة والثواب.

* إما أن يكون رياءً محضًا لا يقصد به صاحبه إلا مراءاة المخلوقين ونيل منزلة عندهم ، فهذا من أعمال المنافقين، وهو حابط، وصاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة..

إما أن يشترك في باعثة إرادة الله وطلب محمدة الناس ولها حالات :

* إن شاركه من أصله فهو باطل وحابط.

* إن كان أصل العمل لله لكن طرأت فيه نية الرياء عليه فإن كان خاطر ودفعه فلا يضر بغير خلاف وإن أسترسل فيه حبط عمله.

* أما أن أصل العمل لغير الله لكن طرأ عليه الإخلاص فهذا إن كانت العبادة متصلة لا يصح فالعمل باطل. منفصله أولها عن آخرها بطل الأول وصح الثاني. كعمرة طواف وسعى هذه متصلة. كعمرة وصدقة هذه منفصلة ..

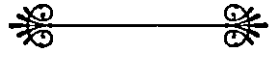

obeikandl.com